



عناصر الموضوع

371	مفهوم الحوار
177	الألفاظ ذات الصلة
179	مقاصد الحوار
12.	أنواع الحوار في القرآن
178	قواعد الحوار



مفهوم الحوار

أولًا: المعنى اللغوي:

(الحاء والواو والراء) ثلاثة أصول: أحدها لون، والآخر الرجوع، والثالث أن يدور الشيء دورًا، وتعود أصل كلمة الحوار إلى (الحور) وهو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، يقال: (حار بعدما كار)(()، والحور النقصان بعد الزيادة؛ لأنه رجوع من حال إلى حال، والتحاور: التجاوب، نقول: كلمته فما حار إلي جوابًا، أي: ما رد جوابًا(()، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مُظَنَّ أَن الله عَالَى: ﴿إِنَّهُ مُظَنَّ أَنْ الله عَالَى: ﴿إِنَّهُ مُظَنَّ أَنْ الله عَالَى: ﴿ الانشقاق: ١٤].

أي: «لن يرجع»(٣)، وهم يتحاورون أي: يتراجعون الكلام، والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة(٤).

«تحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم»(٥).

ويقصد بالمحاورة «المجاوبة ومراجعة النطق والكلام في المخاطبة» (٢٠).

إذن فالحوار لغة تعني المراجعة في الكلام بين اثنين فأكثر، فمعناه في اللغة واسع يشمل كل مناقشة بين اثنين أو أكثر في أي موضوع.

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

الحوار هو: «نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب»(٧).

الحوار هو: «محادثة بين شخصين أو فريقين، حول موضوع محدد، لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر، بعيدًا عن الخصومة أو التعصب، بطريق يعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين

⁽٧) الحوار ، آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحي بن محمد زمزمي ص ٣٢.



⁽١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ١/ ٢٨٧.

⁽٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٥/ ٢٩٧.

⁽٣) فتح القدير، الشوكاني ٥/ ٥١٥.

⁽٤) انظّر: لسان العرب، أبن منظور ٥/ ٢١٨.

⁽٥) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص ٤٨٧.

⁽٦) تاج العروس، الزبيدي ٦/ ٣١٧.

لقبول الحقيقة ولو ظهرت على يد الطرف الآخر»(١).

ويلاحظ من التعاريف الثلاثة السابقة اتفاقهم على أن الحوار حديث متبادل بين طرفين أو أكثر، ويعجبني التعريف الثالث للدكتور بسام عجك، فهو تعريف جامع مانع مكتمل الأركان.

العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي:

هناك علاقة قوية بين معنى الحوار في اللغة والاصطلاح، فالحوار هو نشاط عقلي ولفظي يقدم المتحاورون الأدلة والحجج والبراهين التي تبرر وجهات نظرهم بحرية تامة من أجل الوصول إلى حل لمشكلة أو توضيح لقضية ما، وهذا ما يتفق عليه المعنيون.

ولم يرد لفظ (الحوار) في القرآن الكريم، وإن ورد أصل مادته (حور).

⁽١) الحوار الإسلامي المسيحي، بسام عجك، ص ٢٠

الألفاظ ذات الصلة

الجدل:

الحدل لغة:

اللدد في الخصومة والقدرة عليها، وجادله أي: خاصمه مجادلة وجدالًا، والجدل: مقابلة الحجة بالحجة؛ والمجادلة: المناظرة والمخاصمة، والجدال: الخصومة؛ سمي بذلك لشدته(۱).

الجدل اصطلاحًا:

الجدل: «هو عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة، وهو لا يكون إلا بمنازعة غيره والنظر قد يتم به وحده»(٢).

وقيل: مقابلة المتنازعين الحجة بالحجة على سبيل التدافع والتخاصم؛ بالعبارة أو ما يقوم مقامها؛ لإلزام الخصم غالبًا، وتقرير المذهب، سواء أكان حقًا أم باطلًا.

الصلة بين الحوار والجدل:

كل من الحوار والجدال عبارة عن تبادل للحديث بين أطراف معينة، ولكن القصد مختلف فالجدال كما بين الإمام أبو زهرة الغرض منه بقوله: «والجدل يكون الغرض منه إلزام الخصم والتغلب عليه في مقام الاستدلال» (٣)، ومثال ذلك قوله تعالى ﴿وَلَا تُحَدِلُوا الْعَلَى الْمَالِمُ اللّهُ الل

قال تعالى: ﴿ هَا أَنتُم هَا كُالَة حَاد لَتُم عَنَّهُمْ فِي ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنْيَ اَ مَن يُجَدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيكَمَةِ أَم مَن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ [النساء: ١٠٩].

٢ المناظرة:

المناظرة لغةً:

المناظرة في اللغة مشتقة من المادة اللغوية (نظر)، ومن معانيها تأمل الشيء بالعين المجردة، وتقليب البصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، والتّأمّل والفحص، وقد يراد بالنظر المعرفة الحاصلة بعد الفحص، والطلب؛ يقال: انظر لي فلانًا، أي: اطلبه، والمقابلة؛ والعرب تقول:

⁽٣) تاريخ الجدل، ص ٥.



⁽١) انظر: لسان العرب، ابن منظور ١١/ ١٠٥، مجمل اللغة، ابن فارس ١/ ١٧٩.

⁽٢) الكليات، الكفوى ص٣٥٣.

داري تنظر إلى دار فلان، ودورنا تناظر، أي: تقابل، والإمهال والترقب والتوقع واللّمحة السّريعة (١).

المناظرة اصطلاحًا:

المحاورة بين طرفين متضادين في الرأي، والقائمة على الأدلة المنطقية والبراهين والإحصائيات الدقيقة، يقصد كل منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر بأدب رفيع، مع الرغبة في إظهار الحق، والراجح على المرجوح، وتحقيق الفائدة المبنية على المناصحة والحلم (٢).

الصلة بين الحوار والمناظرة:

وهكذا يتبين أن المناظرة ما هي إلا محاورة من أجل الوصول إلى الصواب.

٣ المحاجة:

المحاجة لغةً:

الحجّ: الغلبة بالحجّة، يقال: حجّه يحجّه حجَّا، إذا غلبه على حجّته، ومنه الحجّة بالضّمّ: الدّليل والبرهان، وقيل: ما دفع به الخصم، وإنما سمّيت حجّة لأنّها تحجّ، أي: تقصد؛ لأنّ القصد لها وإليها، وبها يقصد الحقّ المطلوب، وجمع الحجّة حججٌ وحجاجٌ (٣).

المحّاجة اصطلاحًا:

قدرة الفرد على توظيف ما يمتلكه من الأدلة والبراهين العقلانية الموضوعية في قضية خلافية؛ لإثبات دعواه، وأيضًا ح فكرته، مع تفنيد حجج مخالفيه، والوصول بهم إلى الاقتناع بهذه الفكرة، والإيمان بها، دون إلزامهم باتباعها، والسير عليها(٤).

الصلة بين الحوار والمحاجة:

هناك فرق بين الحوار والمحاجة حيث إن الحوار هو تبادل حديث بقصد الوصول لحل

⁽۱) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٥/ ٤٤٤، لسان العرب، ابن منظور ٥/ ٢١٥، تاج العروس، الزبيدي ١٤/ ٢٤٥، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٢/ ٩٣٢.

⁽٢) انظر: التعريفات، الجرجاني ص ٢٥٠، آداب البحث والمناظرة، محمد الأمين الشنقيطي ص ٤، حلية طالب العلم، بكر أبو زيد ص ٦٨، منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، عثمان علي حسن ١/ ٣٠٠.

⁽٣) انظر: مقاییس اللغة، ابن فارس ۲/ ۲۹-۳۰، لسان العرب، ابن منظور ۲/ ۲۲۲، تاج العروس، الزبیدی ٥/ ٤٥٩-٤٦٤.

⁽٤) انظر: المحاجة طرق قياسها وأساليب تنميتها، طريف شوقي محمد ص٣، الجدل في القرآن الكريم، خصائصه ودلالته دراسة لغوية دلالية، يوسف عمر العساكر ص٣٠.

مشكلة ما، أما المحاجة ففيها يثبت كل طرف صحة دعواه، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى اللَّهِ عَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَلَجً إِبْرَهِتُمُ رَبِّي اللَّهِ عَلَى يَحْيِهِ وَيُمِيتُ قَالَ إِبْرَهِتُمُ رَبِّي اللَّهِ عَلَى يُحْيِهِ وَيُمِيتُ قَالَ أَنْهُ اللَّهُ اللَّ

قَال تعالى: ﴿ وَمَا جَدُ قُومُدُ قَالَ أَنُّكُ جُوتِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ﴾ [الأنعام: ٨٠].

٤ المخاصمة:

المخاصمة لغة:

المخاصمة في اللغة مشتقة من المادة اللغوية (خصم)، ويأتي بمعنى الجدل والمنازعة؛ يقال: خاصمه خصامًا وخصومة، أي: جادله ونازعه، وبمعنى الشّقّ؛ يقال للخصمين: خصمان؛ لأخذ كلّ واحد منهما في شتي من الحجاج والدّعوى، والطرف والجانب والزاوية، تلقين الحجة؛ يقال: أخصم صاحبه إذا لقّنه حجّته على خصمه (١١).

المخاصمة اصطلاحًا:

اللجاج في الكلام من أجل المعارضة والمعاندة ابتداءً؛ يستوفي به المخاصم مراده من خصمه، في جو من التشاحن والتباغض ورفض الآخر (٢).

الصلة بين الحوار والتخاصم:

هناك فرق واضح بين المعنيين حيث إن الأول المقصود منه إيجاد حل لمشكلة ما بالتوافق، أما الثاني فهو يؤدي للتنازع دون إيجاد حلول ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا يَخَفَّ خَصْمَانِ بَنَى بَعْضَنَا عَلَى بَعْضِ فَأَحَّكُم يَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا نُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الْصِّرَطِ ﴾ [ص: ٢٢]. قال تعالى: ﴿هَلَانِ خَصْمَانِ ٱخْنَصَمُوا فِي رَبِّمٌ فَالَّذِينَ كَفُرُوا فُطِّعَتْ لَهُمُ ثِيَابٌ مِّن تَارِيصَبُ مِن فَقِ رُمُومِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴾ [الحج: ١٩].

⁽٢) انظر: فن الحوار، فيصل الحاشدي ص٠٢.



⁽۱) انظر: تهذيب اللغة، للأزهري ٧/ ١٥٤ - ١٥٥، مقاييس اللغة، ابن فارس ٢/ ١٥٠، لسان العرب، ابن منظور ٢ / ١٨٠ - ١٨١.

مقاصد الحوار

القرآن الكريم تناول كثيرًا من الأدلة والبراهين التي حاور بها وحاج بها خصومه في صورة واضحة جلية يفهمها العامة والخاصة، وأبطل كل شبهة فاسدة، فللحوار في القرآن الكريم مقاصد عدة، منها: إقامة الحجة على البشر و الهداية إلى الحق وحل الخلافات، وبيان ذلك فيما يأتي:

أولًا: إقامة الحجة:

إنّ من الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم من أجل إقامة الحجّة على العباد، والدّلالة على وحدانيّته سبحانه وتعالى، وعلى صدق ما جاؤوا به من رسالات، وبلّغوا به دين الله في الأرض، هو الحوار فالغاية من الحوار إقامة الحجة ودفع الشبهة والفاسد من القول والرأي، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق.

من أجل ذلك ورد السياق القرآني الجليل مصدرًا بصيغة الأمر (قل) المشعرة بأن الداعية ينبغي أن يتخذ من القول المبين والحجة البالغة منهاجًا وغاية، ونجد فعل الأمر: (قل) وردت (٣٣٢) مرة في القرآن الكريم، (١) من تأملها وتدبرها وقف على منهاج متكامل في صيغ البيان وطرائق الأداء

ومسالك إقامة الحجة في إحقاق الحق ودحض الباطل^(٢).

- في تقرير التوحيد يقول عز وجل: ﴿ قُلْ مَن رَبُّ السَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ النَّهُ قُل اَفَاقَفَدْتُم مَن رَبُّ السَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ النَّهُ قُل اَفَاقَفَدْتُم مِن دُونِهِ تَلْ السَّمَوَةِ لَا يَمْلِكُونَ لِأَقْشِيمْ نَقْعًا وَلَا ضَرَّأً قُل هَل يَسْتَوِى الْلَاَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ مَنْ مَنَّ مَنَا فَل هَل يَسْتَوِى الْلَاَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ مَنْ مَنَا فَل مَنْ وَالنَّورُ أَمْ جَعَلُوا لِللهِ شُرِكَاتَ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِللهِ شُرِكَاتَ خَلِقُ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ مَنْ اللَّهُ خَلِقُ كَا مَنْ مَنْ وَهُو الْوَحِدُ الْفَهَنْ فَي [الرعد: ١٦].
- وأيضًا في الرد على منكري النبوة قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةً لَمْ اللهِ مَثْنَى وَفُرَدَىٰ ثُمَّ اللهِ مَثْنَى وَفُرَدَىٰ ثُمَّ اللهِ مَثْنَى وَفُرَدَىٰ ثُمَّ النَّعَ اللهِ مَثْنَى وَفُرَدَىٰ ثُمَّ النَّعَ اللهِ مَثْنَى عَذَابِ شَدِيدِ ﴿ اللهِ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ

⁽٢) انظر: وسطية الإسلام ودعوته إلى الحوار، عبدالرب آل نواب، ص ٣٤.

⁽۱) انظر: المعجم المفهرس، محمد فؤاد عبد الباقي، ص٧١٥.

إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿ ثُلَ قُلْ إِنَّ وَلَا إِنَّ الْمَعْدَ فَهِ يَقْدِفُ بِالْمُؤْتِ عَلَامُ ٱلْعُنُدُوبِ ﴿ اللَّهُ قُلْ جَاءً لَا لَكُونُ وَمَا يُعِيدُ ﴿ اللَّهُ قُلْ اللَّكُ فَإِنَّ الْمُعَلِّلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿ اللَّ قُلْ اللَّهُ وَمَا يُعِيدُ ﴿ اللَّهُ عَلَيْهُ ﴾ فَيما يُوحِى إِلَى رَقِتُ إِنَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَرِيبٌ ﴾ فَيما يُوحِى إِلَى رَقِتُ إِنَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَرِيبٌ ﴾ [الساء: ٢٤ - ٥٠].

نلاحظ من الآيات السابقة كيف أقام القرآن الكريم الحجة على الناس أجمعين مؤمنهم وكافرهم، وأظهرت قدرة الله عز وجل وعظيم شأنه جل جلاله.

وإذا نظرنا في المحاورات التي أثبتها الله في كتابه العزيز، فسنلاحظ صنفين منها:

صنف يبتدئ فيه المتحاورون بالتخاصم من أول الأمر، كل يريد إثبات دعواه فيما ذهب إليه، وهذا الصنف نستطيع تسميته «مناظرة أو جدل».

ومثال ذلك: عندما حاور سيدنا إبراهيم عليه السلام النمرود في المناظرة التي أثبتها الله عز وجل في آياته الكريمة.

ومن الواضح من خلال هذه الآية، أن النمرود بدأ مخاصمًا لإبراهيم عليه السلام من أول الأمر، وهذه مناظرة.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَلَجٌ إِبْرَهِتُمْ فَوَ إِلَى الَّذِى حَلَجٌ إِبْرَهِتُمْ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَمَهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَهِتُمُ وَيُعِيتُ قَالَ أَنَا أُثِي يُتِيء وَيُعِيتُ قَالَ أَنَا أُثِي وَلَيْعِيتُ قَالَ أَنَا أُثِيء وَلُعِيتُ قَالَ إِبْرَهِتُمُ فَإِنَ اللّهَ يَأْتِي إِللّهُ مَسِ أُمُّي وَلَهُ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهُتَ اللّذِى مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهُتَ اللّذِى مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهُتَ اللّذِى

كُفَرُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فهذا الملك الذي حاج إبراهيم في ربه لم يكن منكرًا لوجود الله أصلًا إنما كان منكرًا لوحدانيته في الألوهية والربوبية ولتصريفه للكون وتدبيره لما يجري فيه وحده، وهذا شأن الكثير من الناس في الجاهلية يعترفون بوجود الله، ولكنهم يجعلون له اندادًا ينسبون إليها الأعمال، وسبب هذه المحاجة لأنه أعطاه جل جلاله الملك فبطر وتكبر ولم يشكره سبحانه على هذه النعمة، بل استعملها في غير ما خلقت له فنسب لنفسه الإحياء والإماتة بطريقة سخيفة غير منطقية (١).

وكان رد سيدنا إبراهيم عليه السلام على ذلك الملك في مقام التدليل على وحدانية الله أنه عز وجل هو المستحق للعبادة، ربي وحده هو الذي ينشئ الحياة ويوجدها، ويميت الأرواح ويفقدها حياتها، فالتحدي قائم، والأمر ظاهر، ولا سبيل إلى سوء الفهم، أو الجدال والمراء، وكان التسليم أولى والإيمان أجدر، ولكن الكبر عن الرجوع إلى الحق يمسك بالذي كفر، فيبهت ويبلس ويتحير، ولا يهديه الله إلى

⁽۱) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب ١/ ٢٩٧ التفسير الوسيط، طنطاوي ١/ ٩٩٣.

الحق؛ لأنه لم يتلمس الهداية، ولم يرغب في الحق ولم يلتزم القصد والعدل(١).

صنف ثان يبتدئ فيه الطرفان لا على أنهما خصمان يختلفان في الاعتقاد والمذهب، بل هما شريكان فيه، وهذا ما نستطيع تسميته بالحوار.

حوار آخر في القرآن الإبراهيم عليه السلام أيضًا وهو يحاور قومه: ﴿ وَكُذَرِكَ السلام أَيضًا وهو يحاور قومه: ﴿ وَكُذَرِكَ نُرِيَ آيَنَهُ وَاللَّرَضِ السَّكُونَ مِنَ الْمُوقِدِينَ ﴿ السَّكُونَ السَّكُونَ مِنَ الْمُوقِدِينَ ﴿ السَّكُونَ اللَّهَ اللَّهَ اللَّهَ اللَّهَ اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللْلِلْمُ الللللْمُ الللللْمُ الللللْمُلِي الللللْمُ اللللْمُ الللللْمُ اللللْمُلِمُ اللللْمُ الللْمُلْمُ اللللْمُلْمُ اللللْمُلْمُ الللِمُلْمُ الللْمُلْمُ اللللْمُ اللللْمُلْمُ اللللْمُلْمُ الللْمُ

فسيدنا إبراهيم عليه السلام يحاكي قومه في اعتقادهم، ولا يعلن مخالفته لهم، ولم يسفه أحلامهم، فذلك أدعى إلى إنصاتهم لقوله، وتفهمهم لحجته، ثم لم يلبث أن كرّ على قولهم ينقضه، ولكن من طرف خفي ينبئ عن سداد في الرأي ونفاذ للبصيرة (٢).

ولم يكن إبراهيم عليه السلام يعتقد هذه

العبادة، ولكنه نصّب نفسه في أول الأمر شريكًا لقومه فيها، استدراجًا لهم واستهواء لقلوبهم، حتى إذا أحس منهم الإصغاء راح ينقض هذه العبادة شيئًا فشيئًا، وقومه لا يبدون التخاصم معه، حتى إذا أعلن انصرافه عن آلهتهم وبراءته من عبادتهم، عندها حاجوه في ذلك الذي فاجأهم به حيث لا يتوقعونه، وفي هذه المرحلة بدأت المناظرة. فيلاحظ هنا أنه بدأ معهم شريكًا في فيلاحظ هنا أنه بدأ معهم شريكًا في جو من الهدوء حتى إذا أعلن مخالفته لهم انقلب الحوار إلى مناظرة بينه وبينهم كل يريد إثبات رأيه (۱).

فلما ستره الليل بظلامه، أبصر كوكبًا ظاهرًا في السماء فقال عليه السلام مستعظمًا شأن هذا الكوكب: هذا ربي، مجاراة لقومه وتأليفًا لقلوبهم، حتى بلغوا بقلوبهم إلى التأمل في موضع الحجة، فلما غاب هذا الكوكب وأفل قال: لا أحب اتخاذ الآفلين أربابًا، لأن الرب الحقيقي، الجدير بالربوبية، يستحيل عليه التغير والانتقال من حال إلى حال؛ لأن ذلك من شأن الحوادث فلم ينتفعوا بهذا الاستدلال(2).

فانتقل إلى الاستدلال التالى حين أبصر

⁽١) انظر: منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة، مجاهد محمود ص١٠٢.

⁽٢) انظر: قصص القرآن، جاد المولى، ص١٣٢.

⁽٣) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث ٣/ ١٢٧٥.

⁽٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٧/٢٦.

إبراهيم القمر قال مستعظمًا شأنه: إنه ربه، مجاراة لقومه أيضًا، فلما أفل وغاب قال إبراهم: ﴿ لَهُ تَمْ يَهْدِنِي رَبِي لَأَكُونَكَ مِنَ الْقَرِّوِ النَّيِّ الْمُكُونَكَ مِنَ الْقَرِّوِ النَّيِّ النَّيْ الْمُكُونَكَ اللَّهُ النَّيْ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَرِّضَ فِي كلامه وأنه واحد، وأن الكوكب والقمر كليهما لا يستحقان ذلك، مع أنه عرِّض في كلامه بأن له ربًّا يهديه وهم لا ينكرون عليه ذلك؛ لأنهم قائلون بعدة أرباب، وفي هذا تهيئة لنفوس قومه لما عزم عليه من التصريح بأن له ربًّا غير الكواكب.

ثم عرَّض بقومه أنهم ضالون وهيأهم قبل المصارحة للعلم بأنهم ضالون.

وإنما تريث إلى أفول القمر فاستدل به على انتفاء إلهيته، ولم ينفها عنه بمجرد رؤيته بازغًا، مع أن أفوله محقق بحسب المعتاد؛ لأنه أراد أن يقيم الاستدلال على أساس المشاهدة على ما هو المعروف في العقول؛ لأن المشاهدة أقوى.

فلما طلعت الشمس قال: ﴿ هَلْذَا رَقِي هَلْذَا آَكَبُرُ ﴾، فعلل ربوبية الشمس بكونها أكبر من الكوكب والقمر، وهي أكثر إضاءة، فأولى باستحقاق الإلهية (١١).

فلما غابت الشمس أعلن براءته مما كانوا يعبدون من دون الله، وأعلن الإيمان

الذي استقر في قلبه حقًا ويقينًا و بين عليه السلام بالحجة الدامغة على أن لا اله إلا الله عز وجل، والذي يستحق العبادة الذي أنشأ السموات والأرض وما فيهما مائلًا عن الاعتقادات الباطلة، إلى عقيدة التوحيد المؤيدة بالدلائل (٢).

وعن هذا يقول الزمخشري رحمه الله تعالى: «فأراد أن ينبههم على الخطأ في دينهم، وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال، ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤدّ إلى أن شيئًا منها لا يصح أن يكون إلهًا، لقيام دليل الحدوث فيها، وأن وراءها محدثًا أحدثها، وصانعًا صنعها، ومدبرًا دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر مع علمه بأنه مبطل، فيحكى قوله كما هو غير متعصب لمذهبه؛ لأنّ ذلك أدعى إلى الحق وأنجى من الشغب، ثم يكرّ عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة أنه لا أحب عبادة الأرباب المتغيرين عن حال إلى حال»(").

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن القرآن الكريم قد أقام الحجة على المشركين بالله بالحوار بطريق الاستدلال العقلي للوصول إلى الحقيقة الكامنة بأن لا إله يستحق العبادة سوى الله جل جلاله.

⁽۱) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٧/ ٣٢١-٣٢٢.



⁽٢) انظر: جامع البيان، الطبري ١١/ ٤٨٠، في ظلال القرآن، سيد قطب ٢/ ١١٣٩.

⁽٣) الكشاف ٢/ ٤٠.

ثانيًا: الهداية إلى الحق:

كشف الشبهات والرد على الأباطيل، لإظهار الحق وإزهاق الباطل هو واحد من مقاصد الحوار في القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيْنَتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٥]، ومن أمثلة هذه الحوارات الهادية للحق في القرآن الكريم:

 حوار الرجل المؤمن مع صاحبه الكافر.

والحوار في الآيات التالية ينحو نحوًا إيجابيًا لإحقاق الحق وإبطال الباطل، والآيات تقرر أن الطرفين المتحاورين ليسا عدوين ابتداءً.

قال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُعَاوِرُهُ وَ اللّهُ مَا خَلَقَكَ مِن ثَرَابٍ ثُمَّ مِن نُطْفَقِ ثُمُ الْكَفَرْتَ بِاللّذِى خَلَقَكَ مِن ثَرَابٍ ثُمَّ مِن نُطْفَقِ ثُمُ سَوَّكَ رَبِّى وَلَا أَشْرِكُ اللّهُ رَبِي وَلَا أَشْرِكُ اللّهُ لَا ثُولًا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّنَكَ قُلْتَ مَا شَآهُ اللّهُ لَا قُونَ إِلّا بِاللّهُ إِن تَسَرِنِ أَنَا أَقَلَ مِنكَ مَا لَا وَوَلِدًا أَنَّ فَعَسَىٰ رَقِي أَن يُؤْتِينِ خَيْرًا مَا لَا وَوَلِدًا أَن فَي مُعْمَىٰ رَقِي أَن يُؤْتِينِ خَيْرًا مِن مَا لَا وَوَلِدًا أَن اللّهُ مَا مُسَانًا مِن السّمَاءِ مَن جَنْيكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا خُسْبَانًا مِن السّمَاءِ فَضَيحَ صَعِيدًا زَلَقًا اللّهُ أَوْ يُصِيحَ مَآوُهَا غَوْرًا فَلَن فَضِيحَ مَآوُهَا غَوْرًا فَلَن لَتُسْتَطِيعَ لَهُ مِلْلِبًا ﴾ [الكهف: ٣٧ - ٤١].

وفى هذه الرؤية العاقلة، والحوار البناء نرى بصيصًا من نور في قلب وفكر يعرف طريق الحق، فينصح ويبذل الخير لغيره حتى

يهتدي، يصور هذا كله في صورة رجلين:

أحدهما: له جنتان مثمرتان، وقد حوتا الوان الثمار، وزخرتا بكل ألوان الجمال البادي في المياه الجارية، والزروع، والنخيل، والأعناب، مماكان دافعًا بصاحبها إلى الغرور، والتباهي على الآخر بكثرة ما لديه، وأنه لن يفنى أبدًا، وأن حظه في الآخرة، إن كانت هناك آخرة، سيكون أوفر ثراء، وأكثر رزقًا، ظلم نفسه بهذا التفكير الأخرق، وبكفره، وضعف يقينه بالله، وإعجابه بالحياة الدنيا، ونسيانه للآخرة، وبذلك عرضها للعقاب يوم القيامة (۱).

والثاني: المؤمن الواعظ لأخيه الناصح له بالحوار الهادئ الزاجر عما هو فيه الآخر من الكفر الراضي عن الله عز وجل والذي ادخر ما عنده للآخرة التي هي خير وأبقى (٢).

هذه صورة مؤلمة لمن يخدع بالمظاهر البراقة التي قد تخدع، وتغري بما لا تحمل في طياتها من القيم الرفيعة التي يعتز بها الإنسان، يخدع بمتاع زائل، وجاه عريض، وسلطان مزيف، ولذائذ رخيصة، وينسى تلك القيم التي تعلي من شأن الإنسان، وإن كان فقيرًا مجردًا من المال والسلطان، من جهاد النفس، والزهد في الحياة، والعلم، والعمل، والبذل في سبيل الدعوة فالحق والعمل، والبذل في سبيل الدعوة فالحق

⁽۱) السراج المنير، الشربيني ۲/ ٣٧٥.

⁽٢) انظر: محاسن التأويل، القاسمي ٧/ ٣٢.

بين وإن كان الباطل الخبيث أوفر حظًا من الطيب (١).

وصيغة (يحاوره) و(تحاوركما) تقتضي المشاركة من الطرفين في هذا النقاش والحوار وأن كلا منهما يسمع للآخر دون مصادرة للرأي أو قصد لمجرد الإفحام، والملاحظ أن الطرف المؤمن في هذا الحوار على درجة من الوعي الديني والثبات والعلم، فكان الهدف من هذا الحوار أن يرجع الكافر الضال عما هو فيه من الغي والظلم لنفسه ويعود للحق الذي لا مراء فيه، وأخيرًا اتضحت هذه الحقائق أمام عينيه وتكشفت الحقائق، فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها، ويقول ﴿يَلْيَنَنِي لَرَ أُشْرِكُ بِرَيِّ أَحَدًا﴾ [الكهف: ويقول ﴿يَلْيَنَنِي لَرَ أُشْرِكُ بِرَيِّ أَحَدًا﴾ [الكهف:

 حوار موسى عليه السلام وفرعون.

﴿ قَالَ فَمَن رَّقُكُمُا يَنْمُوسَىٰ ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ مُّ هَدَىٰ ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَقِي فِي كِتنَبِّ لَا يَضِيلُ رَبِي وَلَا يَنسَى ﴾ [طه: ٤٩-٥٢].

أمر الله عز وجل موسى وهارون عليهما السلام بالتوجه إلى فرعون وإخباره أنهما رسولان من ربه، وأن يطلبا منه رفع العذاب

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/ ٢٦٢.

فعلم أحوال القرون الماضية يختص به

عن بنى إسرائيل، ويخبراه أن السلام على من اتبع الهدى، والعذاب على من كذب وتولى فتوجها إليه وأبلغاه، فبدأ يناقشهما فيما جاءاه به.

وأول ما بدأ به مناقشته أن قال: إذا كنتما رسولي ربكما الذي أرسلكما فأخبراني من ربكما الذي تدعوني إلى الإيمان به يا موسى.

فكان جواب موسى عليه السلام لفرعون: ربّنا يعرف بصفاته، ولا يدرك بذاته، فهو الذي أعطى كل شيءٍ ما خلقه عليه من المادة والصورة والوظيفة، وأعطاه ما يحقق به ما خلق له، وهداه إلى تحقيقه (٢).

فلما وضح الحق في جانب موسى عليه السلام وظهر جليًا للعيان، خاف فرعون أن يتأثر الناس بما قاله موسى عليه السلام، فيكفوا عن القول بألوهيته، والاندماج في عبوديته، فلهذا وجه إليه سؤالًا يريد أن يحرجه به، ويظهر ضعفه أمام سامعيه، فقال له: إن كنت رسولًا يا موسى فأخبرنى: ما حال أهل القرون الماضية، وماذا جرى عليهم من الحوادث مفصلة؟ فقال موسى عليه السلام ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِي فِي كِتنَبٍ لَّا عَلَيهُ السلام ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِي فِي كِتنَبٍ لَّا يَضِيلُ رَبِي وَلَا يَسْمَى ﴾ [طه: ٢٥].

⁽١) انظر: عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن، الطهطاوي ص ٢٦٠.



ربّى الذي أرسلني وما أنا إلا عبد له تعالى، فلا علم لي إلا بما أخبرني من شئون الرسالة، وقد بلغ من علم الله أنه سبحانه وتعالى لا يضل ولا يغيب عنه شيء في الوجود، فلا يفوته علم شيء منه ابتداء، ولا ينسى معلومًا دخل دائرة علمه، فقد أحصى وأحاط بكل شيء علمًا أزلًا وأبدًا(١).

هذا هو ديدن الكفار والظالمين على مر الزمان، جدال عقيم من أجل إضلال الناس، وغطوا أعينهم عن الحق وأبوا إلا المشي في طريق الضلال وكذبوا الرسل بما جاؤوا به من عند الله، فقال الحق سبحانه وتعالى: ﴿ كُنَّ بَتُ مَنَّ لَكُمَّ مَوْمَ نُوجٍ وَالْأَخْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمُ وَهَمَّتَ كُلُّ أُمَّتُمْ بِرَسُولِهِمْ لِيَاخُدُوهُ وَجَدَدُلُوا بِالْبَطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْمُقَّ فَاَخَذَتُهُمُّ وَجَدَدُلُوا بِالْبَطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْمُقَ فَاَخَذَتُهُمُّ فَيَعَدُوا بِهِ الْمُقَ فَاَخَذَتُهُمُّ فَيَا فَافَر: ٥].

يجادلون في آيات الله جل جلاله الواضحة البيان، المؤيدة بالبرهان، ويكفرون بالحق مع وضوحه، فهمت كل أمة برسولهم ليقتلوه، وخاصموا رسولهم بالباطل ليبطلوا بجدالهم إياه وخصومتهم له الحق الذي جاءهم به من عند الله، من الدخول في طاعته، والإقرار بتوحيده، والبراءة من عبادة ما سواه.

فما كان عقابهم إلا أن أخذ الله عز وجل

الذين هموا برسولهم ليأخذوه بالعذاب، فأهلكهم وجعلهم للخلق عبرة، ولمن بعدهم عظة (٢).

ونظير ذلك من قبيل المناظرة التي تهدف إلى إظهار الحق، وإقامة البرهان على صحته، وهي الطريقة التي يشتمل عليها جدل القرآن في هداية الكافرين وإلزام المعاندين، بخلاف مجادلة أهل الأهواء فإنها منازعة باطلة، قوله عز وجل: ﴿ وَمَانُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ بَالْبَعِلِلُ الْمُرْسَلِينَ وَمُبَدِينَ وَمُبَدِلُ ٱلنِّينَ كَفَرُوا الْكِيلِ اللّهِ مَانِيقِ وَمَا أَرْسِلُ ٱلمُرْسَلِينَ اللّهِ مُنْفِرِينَ وَمُبَدِلُ ٱلنّينَ كَفَرُوا اللّهِ اللّهِ اللّهِ وَمَا أَنْدِينَ وَمُبَدِلُ ٱلنّينَ كَفَرُوا اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ وَمَا أَنْدِرُوا عَالِيقِ وَمَا أَنْدِرُوا هَانِكِي وَمَا أَنْدِرُوا هَانِكِي اللّهِ وَمَا أَنْدِرُوا هَانِكِي اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّ

فهنا أيضًا يجادل الذين كفروا رسلهم بالجدال الباطل، ليزيلوا به الحق الذي جاء به هؤلاء الرسل ويدحضوه ويبطلوه، والله سبحانه وتعالى متم نوره ولو كره الكافرون، فإن الباطل مهما طال فإن مصيره إلى الاضمحلال والزوال(٣).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «ويستفاد من الآية أن كل إنسان يجادل من أجل أن يدحض الحق فإن له نصيبًا من هذه الآية، يعني: أن فيه نصيبًا من الكفر والعياذ بالله؛ لأن الكافرين هم الذين يجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق»(٤).

 ⁽۲) انظر: جامع البيان، الطبري ۲۱/ ٣٥٣.
 (۳) انظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان،

⁽٣) انظر: مباحث في علوم القران، مناع القطان، ص ٣١٠.

⁽٤) تفسير القرآن الكريم، سورة الكهف، ابن

⁽۱) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث ٦/ ١٠٣٠.

ثالثًا: حل الخلافات:

الحوار الهادئ مفتاح للقلوب وطريق إلى النفوس الطيبة وسبيل مضمون لحل الخلافات.

قال تعالى: ﴿ أَدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْمُسَنَةِ وَجَدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ [النحل: ١٢٥].

فالحوار المشتمل على الموعظة الحسنة التي يستحسنها السامع، وتكون في نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها والتي تساعد في حل المشكلات، ولكن الداعي قد يحتاج مع الخصم الألد إلى استعمال المعارضة والمناقضة ونحو ذلك من الجدل، ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَدِلْهُم بِاللَّتِي هِيَ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَدِلْهُم بِاللَّتِي هِيَ النحل: ١٢٥]، أي: بالطريق التي هي أحسن طرق المجادلة، وإنما أمر الله عز وجل بالمجادلة الحسنة لكون الداعي محقًا وغرضه صحيحًا، وكان خصمه مبطلًا وغرضه فاسدًا، والغرض الرئيس من ذلك الجدال الحسن هو السير قدمًا نحو الأفضل (۱).

فمن ثمرات الحوار تضييق هوة الخلاف، وتقريب وجهات النظر، وإيجاد حل وسط يرضي الأطراف في زمن كثر فيه التباغض

والتناحر. ومن

ومن ضمن المشكلات التي تحل بالحوار من أجل تقارب وجهات النظر ومحاولة إيجاد حلول مرضية المشاكل الزوجة، ولنا في القرآن الكريم أسوة حسنة في الحوار الجاد من أجل إنقاذ بيت الزوجية. فعن عروة، قال: قالت عائشة رضى الله عنها: (تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى على بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول: يا رسول الله، أكل شبابي ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سنى وانقطع له ولدى ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، قالت عائشة: فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهؤلاء الآيات ﴿قَدْ سَيعَ اللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِنَ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تُعَاوُرَكُمْٱ إِنَّ أَلَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١]، قال: وزوجها أوس بن الصامت $^{(1)}$.

نلاحظ هنا:

🤏 «أن المرأة المسلمة وقفت أمام رسول

⁽١) انظر: نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، القنوجي، ص ٣٦٣



⁽٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الطلاق، باب الظهار، ١/ ٦٦٦، رقم ٢٠٦٧، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، تفسير سورة المجادلة ٢/ ٣٥٣، رقم ١٣٧٩. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد. وصححه الألباني في إرواء الغليل، ٧/ ١٧٥، رقم ٢٠٨٧.

عثيمين ص ١٠١.

الله صلى الله عليه وسلم تجادله وتحاوره وتبادله الحجة بالحجة، حتى إن القرآن يستدل في شأنها، ويستجيب الحق لندائها، وتكون قضيتها صدر سورة من كتاب الله خالدة ما بقيت السماوات والأرض»(۱).

بيان لما جبلت عليه المرأة المسلمة من شريف الخلال، ونبيل الخصال، وكريم الأخلاق، فهي في هذه القصة: مؤمنة تقية قوية الإيمان، عظيمة التقوى لله، تمنع نفسها زوجها حتى تعلم حكم الله ورسوله، وتلجأ إلى الله وحده في حرارة ورجاء أمل؛ تسأله أن ينزل تفريج كربها وحل لمشكلتها على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم (٢).

وهي فقيهة ذكية الفؤاد تقرع الحجة بالحجة والدليل بالدليل، وتراها وفية لزوجها، أمينة على صحبته، حفيظة على حقوق عشرته، وتراها مربية فاضلة تقدر حياة الأسرة قدرها وتحافظ على كيانها، وتعلم أن الأسرة المبتورة لا خير فيها(٣).

هذه الصورة للجدال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تدلّ على حضور

الله سبحانه وتعالى مع الناس، وما يصيبهم من مشكلات، وتدلّ على رعايته وتوجيهه لكل حدث في الأرض، صغير أو كبير، وأن تشعر جماعة من الناس أن الله هكذا معها، حاضر شؤونها، جليلها وصغيرها، معنيّ بمشكلاتها اليومية، مستجيب الطرق التي تؤدي إلى حل لهذه المشاكل بين الناس(٤).

ثم يقرر أصل القضية، وحقيقة الوضع فيها والحل الجذري لمثل هذه المشاكل، فالحوار البناء الهادف هو الذي تنتج عنه الحلول، فكان الحل من رب السموات والأرض.

قال تعالى: ﴿ وَاللَّذِينَ يُظُنهِرُونَ مِن نِسَآ مِهِمْ ثُمُّ يَعُودُونَ لِمِن قِسَآ مِهِمْ ثُمُّ يَعُودُونَ لِمِنا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَفَيَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتُمَا آسَاً ذَلِكُو تُوعَظُونَ بِهِ قَالَلَهُ بِمَا تَمْمَلُونَ خَيرٌ ﴿ ﴾ فَمَن لَمْ يَعِد فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَنَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتُمَا سَأَ فَمَن لَمْ يَسْتَطِع فَإطعامُ سِتِينَ مِسْكِمناً يَتُمَا سَأَ فَمَن لَر يَسْتَطِع فَإطعامُ سِتِينَ مِسْكِمناً فَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَيَلْكَ حُدُودُ اللّهِ وَلِلْكَنْفِينَ عَذَابُ أَلِيمُ ﴾ [المجادلة: ٣-٤].

فهو علاج للقضية من أساسها إن هذا الظهار قائم على غير أصل، فالزوجة ليست أما حتى تكون محرمة كالأم، فالأم هي

⁽١) نظرات في كتاب الله، الساعاتي، ص٤٨٥.

⁽۲) انظر: تقسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨/٣٧.

⁽٣) انظر: في ظلال القرآن، سيدقطب ٦/ ٣٥٠٥.

⁽٤) انظر: نظرات في كتاب الله، الساعاتي، ص٢٨٦.

التي ولدت، ولا يمكن أن تستحيل الزوجة أما بكلمة تقال، إنها كلمة منكرة ينكرها الواقع (١).

ونلاحظ أن الخلافات بين الناس قد لا تحل نهائيًّا ولا تحسم القضية فيها، لكن الحوار على الأقل قد يزيل بعض ما في الصدور، حتى تجمع بين المختلفين على الأقل ليخف شيء من الشحناء إذن قد تكون غاية الحوار ليست بالضرورة أن تصل إلى ما تريد في هذه المرحلة، إنما تكون الغاية إيجاد حل وسط يرضي الأطراف، فأحيانًا يكون مقصود المحاور التعرف على وجهات نظر الأطراف الأخرى.

أما وقوع الخلاف بين الناس فقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى أن الخلاف موجود، كما أن الله جعل الناس مختلفين في صورهم ومختلفين في أشكالهم؛ قال جل جلاله: ﴿ وَمِنْ ءَايَـنِهِم وَأَلْوَنِكُمْ ۚ إِنَّ فِي اللهِ وَأَلْوَنِكُمْ ۗ إِنَّ فِي اللهِ وَأَلْوَنِكُمْ ۗ إِنَّ فِي اللهِ وَأَلْوَنِكُمْ اللهِ وَأَلْوَنِكُمْ اللهِ وَأَلْوَنِكُمْ اللهِ وَأَلْوَنِكُمْ اللهِ وَأَلْوَنِكُمْ اللهِ وَأَلْوَنِكُمْ اللهِ وَاللهِ وَاللّهِ وَاللهِ وَاللّهِ وَاللهِ وَاللّهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللّهِ وَاللّهِ وَاللّهِ وَاللّهِ وَاللّهِ وَاللّهِ وَل

نبه سبحانه وتعالى على خلق السماوات والأرض واختلاف اللغات والألوان واختلاف ضروب بني آدم وأنواعهم (٢).

هذا الاختلاف الخلقي يترتب عليه اختلاف في الرؤى، واختلاف في

زوجة التصورات، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى نكرها في مقام آخر: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجُعَلَ النَّاسَ أَمَّةً وَرَحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُغْلِفِينَ ﴿ اللَّا اللَّا اللَّهُ وَرَحِمَ رَبُّكَ وَلِلْاَلِكَ خَلَقَهُمُّ وَتَمَّتَ كَلِمَةُ رَبِك قَد لا رَحِمَ رَبُّكَ وَلِلْاَلِكَ خَلَقَهُمُّ وَتَمَّتَ كَلِمَةُ رَبِك قَد لا رَحِمَ رَبُّكَ وَلِلْاَلِكَ خَلَقَهُمُّ وَتَمَّتَ كَلِمَةُ رَبِك لَكن لَأَمَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ لكن لأمَلَأَنَّ جَهنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ ما في [هود:١١٨ - ١١٩]، فالخلاف موجود، ولا يعلى يمكن أن تنفك الدنيا عن الخلاف، ولو يعلى أن يكون الناس تقالى أن يكون الناس تقالى أن يكون الناس تقالى أن يكون الناس تقالى الناس المعالية وتعالى أن يكون الناس

[هود: ۱۱۸ – ۱۱۹]، فالخلاف موجود، ولا يمكن أن تنفك الدنيا عن الخلاف، ولو أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون الناس جماعة واحدة في دينها وتقواها واتزان عقولها، بحيث لا يقع من أحد منهم كفر ولا إفساد، لو أراد الله عز وجل ذلك لوقع، ولكنه لم ولا يزال الناس مختلفين، بعضهم على الباطل، بعضهم يستعمل عقله، ويسترشد مما رسمه له الرسل فيهتدى، وبعضهم لا ينتفع بذلك، بل يتبع هواه فيضل ويغوى (٣).

ومن أروع نماذج الحوار الهادف لحل المشكلات في السنة المطهرة حوار عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يربي أصحابه على الحوار حتى في أحلك الظروف وفي المواقف التي تستدعي أناة وترويًّا، ومثاله ما كان يوم الحديبية لما كتب الصلح ورأى بعض المسلمين فيها إجحافًا، وقع حوار بين بعضهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم،

⁽٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطّية ٤/ ٣٣٣.



⁽٣) انظر: فتح القدير، الشوكاني ٢/ ٢٠٥.

⁽١) انظر: تفسير القرآن، السمعاني ٥/ ٣٨٣.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فأتيت نبي الله صلى الله عليه وسلم فقلت: ألست نبي الله حقًا.

قال: (بلي).

قلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل.

قال: (بلي).

قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذًا؟

قال: (إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصرى).

قلت: أُوَّ ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟

قال: (بلي، فأخبرتك أنا نأتيه العام).

قال: قلت: لا.

قال: (فإنك آتيه ومطوف به).

قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبى الله حقًا؟

قال: بلي.

قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟

قال: بلي.

قلت: فلم نعطى الدنية في ديننا إذًا؟

قال: أيها الرجل إنه لرسول الله صلى الله

عليه وسلم، وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه (١)، فوالله إنه على الحق.

(۱) بغرزه: «أي: أمسكه وأتبع قوله وفعله، كمن يمسك بركاب راكب ويسير بسيره»، مجمع بحار الأنوار ٤/ ٢٧.

قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟

قال: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟

قلت: لا.

قال: فإنك آتيه ومطوف به)(٢).

⁽٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ٣/ ١٩٦، رقم ٢٧٣١.

أنواع الحوار في القرآن

لقد استخدم القرآن الكريم أسلوب الحوار، كأحد أهم الأساليب لإيصال دعوة التوحيد لكافة المكلفين، فكان منها الحوار العقدي، والذي يهدف لترسيخ العقيدة الصحيحة، والحوار الدعوي، والحوار العتابي، والحوار الإصلاحي، والحوار العلمي، وفيما يأتي تفصيل ذلك.

أولًا: الحوار العقدي:

إرساء العقيدة الصحيحة هو الأساس المتين الذي يقوم عليه صرح الإسلام العظيم؛ لذا فقد اهتم القرآن الكريم في إرساء تلك القواعد والمفاهيم من خلال أساليب كثيرة، والتي كان أبرزها أسلوب الحوار العقدي، والذي كان فيه الأنبياء وأقوامهم هم طرفي الحوار، وفيما يأتي بعضًا من تلك النماذج.

١. حوار نوح عليه السلام مع قومه. أخبرنا الله عز وجل أنه بعث نوحًا رسولًا إلى قومه، حيث قال: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ يَعَوْمِ اعْبُدُوا الله مَا لَكُمْ مِنْ لِنَا فَوْمِهِ، فَقَالَ يَعَوْمِ اعْبُدُوا الله مَا لَكُمْ مِنْ إِلَيْهِ عَلَيْهُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمِ إِلَاهٍ عَيْرُهُ وَ إِنِّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمِ اللهِ عَيْرُهُ وَ إِنِّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمِ اللهِ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمِ اللهِ عَلَيْهُ وَ الأعراف: ٩٥].

ونرى بأن حواره صيغ بصياغة واضحة بألفاظ دقيقة ومحددة الدلالات؛ لأن

الكلمات الفضفاضة والتعابير المطاطة تلقى بالناس في متاهات لا صلة لها بالواقع.

قال تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَا ٱلنَّذِينَ كُفْرُواْ مِن فَوْمِهِ مَا نَرَنكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلُنَا وَمَا نَرَنكَ النَّبَعَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلُنَا وَمَا نَرَنكَ الزَّأْيِ النَّبَعَكَ إِلَّا ٱلنَّذِينَ هُمْ أَرَادِلْنَا بَادِى ٱلزَّأْي وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلِ بَلْ نَظْلُكُمْ كَنْ مِنْدِهِ فَضْلِ بَلْ نَظْلُكُمْ كَنْ مِن فَضْلِ بَلْ نَظْلُكُمْ كَنْ مِن فَضْلِ بَلْ نَظْلُكُمْ مَن عَندِهِ فَعُمِّيَتَ عَلَىٰ يَيْنَةِ مِن زَيِّ وَمَالَني رَحْمَةً مِنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتُ عَلَىٰ يَيْنَةٍ أَنْلُومُكُمُوهَا وَأَنتُم لَمُ الكَوهُونَ ۞ وَينقوه لآ أَنْلُومُكُمُ وَهَا وَأَنتُم لَمُ اللَّهِ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَا أَنْا أَنْكُونُ وَهُ النَّهِ وَمَا أَنْا أَنْكُونُ وَمَا اللَّهُ وَمَا أَنْا أَرْبَهُمْ وَلَكِكَوْت أَرْبَهُمْ وَلَكِكَوْنَ الْكَالِهُ وَمَا أَنْا أَرْبَهُمْ وَلَكِكَوْنَ الْمَالُولُ النَّهِمْ وَلَكِكَوْنَ الْمَالُولُ النَّهِمْ وَلَكِكَوْنَ الْمَالَولُولُومُ وَمَا النَّهُ وَمَا أَنْا أَنْ الْمُولُولُ اللَّهُ وَمَا اللَّهُ وَمَا أَنْا اللَّهُ وَمَا أَنْا أَلُولُومُ وَمُا أَنْهُمْ أُلُولُومُ وَمِا اللَّهُ وَمَا اللَّهُ وَمَا أَنْا أَوْلَالُولُولُومُ وَمُا اللَّهُ وَمُنَا اللَّهُ وَمَا أَنْ اللَّهُ وَمِنْ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَمَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَمَا اللَّهُ وَمَا اللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَمَا اللَّهُ اللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَمُا اللَّهُ وَلَى اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ و دَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلِي اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ال

فلما دعا سيدنا نوح عليه السلام قومه الى عبادة الله كان ردّهم: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَا ٱلَّذِينَ كَفُرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَينك إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَينك إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَيْك اللّهِ اللّهِ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلَ نَطْنُكُمْ اللّهِ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلَ نَطْنُكُمْ اللّهُ عِلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلَ نَطْنُكُمْ اللّهُ عِلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلَ نَطْنُكُمْ اللّهُ عِلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلَ نَطْنُكُمْ اللّهُ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلَ نَطْنُكُمْ اللّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللّه اللّه عَلَيْه الله الله على الله الله عنون بذلك أنه الله والمحدوا نبوة نبيهم نوح عليه السلام: ما نراك يا نوح إلا بشرًا مثلنا، يعنون بذلك أنه الما الله عنون بذلك أنه البشر رسولًا إلى خلقه والصّورة والجنس، كأنهم كانوا منكرين أن يكون الله يرسل من البشر رسولًا إلى خلقه (١).

بعد أن سمعهم سيدنا نوح عليه السلام وتأمل في أدلتهم وما اشتملت عليه من

⁽١) انظر: جامع البيان، الطبري ١٥/ ٢٩٥.

شبهات، رد عليهم بأسلوب رقيق وجذاب بأدلة تفنّد مزاعمهم: ﴿ قَالَ يَفَوِّهِ أَرَهَ بَثُمُ إِن كُنتُ عَلَى يَيْنَةِ مِن تَقِ وَوَالنّنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ مَعْمُ مَنْ عِندِهِ فَعُمِينَتُ عَلَيْكُو أَنْلُرْهُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَمَا كُرِهُونَ ﴿ اللّهَ فَعُيْنِيتَ عَلَيْكُمُ أَنْلُرُهُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَمَا كُرِهُونَ ﴿ اللّهَ وَمَا أَنْلُهُ وَمَا أَنْلُو اللّهِ اللّهِ وَمَا أَنْلُو اللّهُ وَمَا أَنْلُو اللّهِ اللّهِ وَمَا أَنْلُو اللّهُ اللّهُ وَمَا أَنْلُولُونَ ﴾ [هود: ٢٨ - وَلَيْكِنِي آلَانُ اللّهُ وَلَيْكُونَ اللّهُ اللّهُ وَلَيْكُونَ اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَيْكُونَ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُولُونَ ﴾ [هود: ٢٨ - اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللللّهُ الللللللللللللّهُ الللللللللللللللللللللللل

قال المراغي: بعد أن ذكر مقالتهم وطعنهم في نوح عليه السلام بتلك الشبه السالفة، قفى على ذلك بدحض نوح لها، ورد شبهات أخرى قد تكون صدرت منهم ولم يحكها، لعلها من الرد عليها، وربما لم يقولوها وإن كان كلامهم يستلزمها، وهذا من خواص أسلوب الكتاب الكريم، وسرّ أسرار بلاغته (٢).

فلقد ردِّ نوح على كل شبهة على حده، وحاول أن يرجعهم إلى الموضوع الرئيسي وهو عبادة الله.

حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه.

حاور إبراهيم عليه السلام أبيه وقومه وعلى رأسهم الطاغية النمرود حوارات متعددة، وذلك لإرساء قواعد العقيدة

الصحيحة، وكانت حواراته كلها مفعمة بأدب الحوار، وتبيين ذلك فيما يلي:

أولًا: في كلامه الموجّه إلى رب العالمين والذي يظهر في قوله تعالى: ﴿ وَاللّٰذِى هُوَ يُطْعِمُني وَيَسْقِينِ ﴿ وَاللّٰذِى هُوَ يُطْعِمُني وَيَسْقِينِ ﴿ وَاللّٰذِى هُوَ يُطْعِمُني وَيَسْقِينِ ﴿ وَاللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ السّفاء إلى الله، وإلا الممرض والشافي هو الله تعالى بإجماع أهل الدين (٣).

ثانيًا: في حواره مع أبيه آزر حينما قال له: ﴿ قَالَ أَرَاغِبُ أَنتَ عَنْ ءَالِهَ فِي يَاإِبْرُهِ مِمَّ لَهِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكُ وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ [مريم:٤٦]، تهديد من الأب بالرجم والهجر الطويل، فما كان من نوح إلا أن قال: ﴿ قَالَ سَلَمُ عَلَيْكُ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَفِّيٌّ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ [مريم:٤٧]، إنه أدب الحوار، وردّ نية الإساءة بالإحسان، قال الرازي: «واعلم أن إبراهيم عليه السلام رتب هذا الكلام في غاية الحسن؛ لأنه نبه أولًا على ما يدل على المنع من عبادة الأوثان، ثم أمره باتباعه في النظر والاستدلال وترك التقليد، ثم نبه على أن طاعة الشيطان غير جائزة في العقول، ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الإقدام على ما لا ينبغي، ثم إنه عليه السلام أورد هذا الكلام الحسن مقرونًا باللطف والرفق،

⁽۱) انظر: دراسة عن أسلوب الحوار في القرآن الكريم، إسحاق رحماني على موقع النور للدراسات الحضارية والفكرية.

⁽٢) انظر: تفسير المراغى ١٢/ ٢٦.

⁽٣) انظر: تفسير القرآن، السمعاني ٤/ ٥٣.

فإن قوله في مقدمة كل كلام: ﴿ يَتَأْبَتِ ﴾ دليل على شدة الحب والرغبة في صونه عن العقاب وإرشاده إلى الصواب، وختم الكلام بقوله: ﴿ إِنِي أَخَافُ ﴾ وذلك يدل على شدة تعلق قلبه بمصالحه (١٠).

ثالثًا: حتى في حواره مع الملائكة مع جهله بحقيقتهم في بداية الأمر فقد ظنهم ضيوفًا، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدُ جَاءَتُ رُسُلُنَا إِبْرَهِيمَ بِالْبُشْرَكِ قَالُواْ سَلَمًا فَاللَّ سَلَمًا فَمَا لَبِثَ أَن جَآهَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ قالَ سَلَمً فَمَا لَبِثَ أَن جَآهَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ [هود: ٢٩].

يبيّن أدب المعاملة وكرم الضيافة حتى مع الأغراب فقد قالوا له سلامًا، فرد عليهم بقوله: سلامٌ، أي: عليكم، قال علماء البيان: هذا أحسن مما حيّوه به؛ لأن الرفع يدل على الثبوت والدوام (٢٠).

رابعًا: في حواره مع أبنائه عندما وصاهم بالتمسك بالدين في قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِالتَّمسُكُ بَلِيهِ وَيَعْقُوبُ يَلْبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصطفىٰ لَكُمُ الدِينَ فَلَا تَعُوتُنَ إِلَّا وَأَنتُم مُسْلِمُونَ ﴾ للبقرة: ١٣٢].

ويظهر ما في لهجته مع أبنائه من تحبب وتقرب يدلان على أدب رفيع في الحوار مع الآخرين، متلازمًا مع غرز عقيدة الإسلام الصحيحة؛ والتي تمثلت بالتمسك بالإسلام

الذي هو الشق العقدي من رسالة الأنبياء جميعًا، وقضية الموت عليه؛ فقوله: ﴿فَلاَ تَمُونُنَّ إِلّا وَآنتُم مُسْلِمُونَ ﴾: إيجاز بليغ، وذلك أنّ المقصود من أمرهم بالإسلام الدوام عليه، فأتى بلفظ موجز يقتضي المقصود، ويتضمّن وعظاً وتذكيراً بالموت، وذلك أن المرء يتحقّق أنه يموت، ولا يدري متى، فإذا أمر بأمر لا يأتيه الموت إلا وهو عليه، فقد توجّه من وقت الأمر دائبًا لازمًا.

وفي هذا الحوار أيضًا تناول قضية الربوبية والتي تمثلت في قضية الإحياء والإماتة، وقضية التحكم بالشمس التي جزء من الكون الفسيح؛ قال السمعاني: «كانت تلك المحاجة في الربوبية من نظر الملك وطغيانه» (٣).

وبعد هذا، فليس غريبًا أن يقول الله سبحانه وتعالى في سيدنا إبراهيم عليه

⁽١) انظر: مفاتيح الغيب٢١/ ٥٤٥.

⁽٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير٤/ ٣٣٢.

⁽٣) تفسير القرآن، السمعاني ١/ ٢٦١.

السلام: ﴿ إِنَّ إِبْرَهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَهِ حَيْفًا وَلَرْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٠]، وقد امتزج إرساء قواعد العقيدة بالأدب الحواري الجم.

حوار شعیب علیه السلام مع قومه.

أرسل الله تعالى نبيه شعيبًا عليه السلام إلى أصحاب الأيكة، وهم مدين؛ ﴿وَإِلَىٰ مَدَّيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾[الأعراف: ٨٥].

وقد اشتملت قصته مع قومه على أفضل الأساليب في الحوار مع الطرف الآخر، لتبليغ دعوة الله، حيث اشتمل حواره على الجانبين: جانب العقيدة، وجانب الحياة، وقد برع وأبدع في حواره حيث لون في الخطاب، ورغب ورهب، وفيما يلي بيان ذلك:

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبُأُ قَالَ يَعَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُمُ شُعَيْبُأُ قَالَ يَعَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُمُ يِّنَ إِلَّهِ عَيْرُهُ، قَدْ جَآءَ تَكُم بَيِنَةٌ مِّن رَبِّكُمُ مِّ فَأَوْفُواْ الْكَيْلُ وَالْمِيزَاتَ وَلَا بُنْفَسِدُواْ وَلَا بُنْفِسِدُواْ الْكَابِمُ اللّهِ اللّهِ مَن اللّهِ مَن اللّهِ مَن اللّهِ مَن المَن بِهِ وَتَبَعُونَهُ وَلا نُقْدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَكِيلِ اللّهِ مَن المَن بِهِ وَتَبَعُونَهُ وَلا يُقْدِيلُ اللّهِ مَن المَن بِهِ وَتَبَعُونَهُ وَلا يُقْدِيلُ اللّهِ مَن المَن بِهِ وَتَبَعُونَهُ عَن عَن سَكِيلِ اللّهِ مَن المَن إِلَا يَصْلُواْ اللّهِ مَن اللّهُ عَن اللّهُ عَن اللّهُ عَن اللّهُ عَنْ اللّهُ عَنْ اللّهُ عَنْ اللّهُ عَنْ اللّهُ عَنْ اللّهُ اللّهُ عَنْ اللّهُ اللّهُ عَنْ اللّهُ عَلْ اللّهُ عَنْ اللّهُ عَنْ اللّهُ عَنْ اللّهُ عَنْ اللّهُ عَنْ اللّهُ عَنْ اللّهُ عَلْ اللّهُ عَلْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلْ اللّهُ عَلْ اللّهُ عَلْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلْ اللّهُ عَلْ اللّهُ عَلْ اللّهُ عَلْ اللّهُ عَلْ اللّهُ عَلْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ ا

اَلْمُفْسِدِينَ ﴿ وَإِن كَانَ طَايَهَ مَنْ مِنْكُمْ مِنْكُمْ مُنْكُمْ مِنْكُمْ مُنْكُواْ وَالَّذِي أَرْسِلْتُ بِهِ وَطَايَهَ أَنَّ لَمْ اللّهُ بَيْنَمَنَا وَهُوَ خَيْرُ لَكُومِينَ فَاصْبِرُواْ حَقَّ يَحْكُمُ اللّهُ بَيْنَمَنا وَهُو خَيْرُ اللّهَ بَيْنَمَنا وَهُو خَيْرُ اللّهَ بَيْنَمَا وَهُو خَيْرُ اللّهَ كَذِينَ السَّكَمْبُرُوا مِن فَوْمِيدِ لَنُخْوِجَنَكَ يَشْمَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن فَوْمِيدِ لَنُخْوِجَنَكَ يَشْمَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن فَرَيْنِنَا أَوْ لَتَعُودُنَ فِي مِلْتِمَا قَالَ أَوْلُو كُنَا كَرِهِينَ فَرِينَا أَوْلُو كُنَا كَرِهِينَ إِلَى مُدْنَا فِي مِلِيْكُمُ اللّهِ كَذِبًا إِنْ مُدْنَا فِي مِلْيَكُمُ اللّهِ بَعْدَ إِذْ مُكْذَا فِي مِلْيَكُمُ اللّهِ بَعْدَ إِذْ مُكْوَدُ فِيهَا إِلّا أَنْ فَعُودَ فِيهَا إِلّا أَنْ يَشْهُو وَلِيهَا وَبَيْنَ فَوْمِينَا وَلِيكُمُ مَنْ وَمِينَا وَلِيكُمُ مَنْ وَمِينَا وَلِيكُمُ اللّهِ كَذِبًا وَيُونَ فَوْمِينَا وَلِيكُمُ اللّهِ كَذِبًا إِلَى مُدْنَا فِي مِلْمَا عَلَى اللّهِ كَذِبًا إِنْ مُدْنَا فِي مِلْيَكُمُ اللّهِ كَذِبًا إِنْ مُدْنَا فِي مِلْيَكُمُ اللّهِ فَي اللّهُ وَمِنْ اللّهُ عَلَى اللّهِ فَي اللّهُ مِنْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْنَا اللّهُ مِنْ اللّهُ عَلَى اللّهُ مِنْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ وَلَا اللّهُ عَلَى اللّهُ وَيُمَا اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلْمَا عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ ال

عند تحليل حوار شعيب مع قومه نقف على براعة الحوار وقوة الأسلوب لتحقيق الأهداف، ويظهر ذلك فيما يأتي (١):

ا. بدأ شعيب عليه السلام دعوة قومه بالتوحيد، وهي الدعوة التي جاء بها جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام؛ لأن الخصم إذا آمن بالله وحده، واستسلم له، فإنه يمتثل لكل ما أمر الله به ونهى عنه، ﴿قَالَ يَنفَوْمِ ٱعْبُدُوا الله الله وَ العنكبوت: ﴿ وَ إِلَىٰ مَدْيَنَ الْحَمْ الْعَرْمَ الْاَحْمِ الْعَرْمِ الله وَ الْعَبْدُوا الله وَ العنكبوت: ﴿ وَ إِلَىٰ مَدْيَنَ الله مَا الله هي القاعدة التي يعلم أن منها تنبثق الله هي القاعدة التي يعلم أن منها تنبثق

(۱) انظر: دراسة بعنوان: حوار شعيب عليه السلام مع قومه في القرآن الكريم، محمد أحمد الكردي، على موقع حيران انفوا.

كل مناهج الحياة، وكل أوضاعها، كما أن منها تنبثق قواعد السلوك والخلق والتعامل، ولا تستقيم كلها إلا إذا استقامت هذه العقيدة. ولقد جرت سنة الأنبياء أن يبدأوا بدعوة أقوامهم إلى التوحيد، ثم علاج المشكلات القائمة عندهم (١).

استعمال الألفاظ المحببة: ﴿ قَالَ يَنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ﴾ يَنْ إِلَه غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف: ٢٥].

٣. استعمال الفصاحة والبيان والبلاغة: فشعيب عليه السلام هو خطيب الأنبياء، وحواره مع قومه كان حوارًا فصيحًا بليغًا، بعيدًا عن الغموض والتشدق، والمقصود أن يتكلم المحاور عندما يحاور الآخرين، بكلام واضح مفهوم، ليس فيه غموض ولا لبس.

لا تلوين الخطاب في الحوار: للنهي عن المخالفات الخطيرة التي يفعلها قومه بأكثر من أسلوب، فبعد أن نهى شعيب عليه السلام قومه عن الشرك، ودعاهم للتوحيد، وجههم إلى الالتزام بطاعة الله، حذرهم من معاصي خطيرة تهدد وجودهم ومصيرهم، ومن أبرز ذلك: لا شك أن أعظم مخالفة كان يفعلها قوم شعيب بعد الشرك، هي: التطفيف قوم شعيب بعد الشرك، هي: التطفيف

في الكيل والميزان، وبخس الناس أشياءهم.

- ه. ضبط النفس: فقد اتهموه بالسحر والكذب، فلم ينفعل، ولم يغضب، بل تحلى بسعة الصدر، وهكذا الداعية المسلم المحاور، ﴿ قَالُوا يَنشُعَيْبُ أَصَلُوتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاَوْنَا أَوْ أَن نَقَعَلَ فِي أَمْرُلِنا مَا نَشَرُقًا إِنّاكَ لاَئتَ الْحَلِيمُ الرّشِيدُ ﴾ مَا نَشَرُقًا إِنّاكَ لاَئتَ الْحَلِيمُ الرّشِيدُ ﴾ مَا نَشَرُقًا إِنّاكَ لاَئتَ الْحَلِيمُ الرّشِيدُ ﴾ هود: ٨٧] (١).
- آلإقناع بالأدلة والبراهين والحجج الدامغة: فقد رد شعيب عليه السلام على قومه بالأدلة المقنعة، فبهتهم، وقال يَنقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِنكُتُ عَلَى بَيّنَةٍ مِن ذَيّ وَرَزَقَنِي مِنهُ رِزْقًا حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَن أَنفَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنهَا حَسُمُ عَنْهُ إِن أَن أَنفَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنهَا حَسُم عَنْهُ إِن أَنْ أَنفَا لَكُمْ عَنْهُ إِن أَنْ أَنفَا لَعَنْهُ وَمَا تَوْفِيقِي أَن أَنفَا لَعَنْهُ وَمَا تَوْفِيقِي أَن أَنها حَسُم عَنْهُ إِن أَنها الله عَلَي أَن أَنها الله الله عَلى الله الله الله تعالى، وأنه أرسلني إليكم، ورزقني النبوة والرسالة، وعمي عليكم معرفتها، فأي والرسالة، وعمي عليكم معرفتها، فأي حيلة لي فيكم (١)، وهكذا يبين المحاور أنه يمتلك الحجة والدليل، وأن رأيه أنه أنه المناه الم
 - (٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية ٣/ ٢٠١.

⁽٣) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٤/ ٢٣٤.

⁽١) انظر تفسير المراغي ٨/ ٢١٠.

ثانيًا: الحوار العلمي:

هذا النوع من الحوار الذي يكون موضوعه التعليم والتلقين ظهر واضحًا جليًّا في قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، والتي حملت في ثناياها دروسًا كثيرة في التواضع وأدب المتعلم واحترام العلماء.

هذه رحلة موسى بن عمران نبي بني إسرائيل مع فتاه يوشع عليهما السلام للقاء العبد الصالح، وهو الخضر عليه السلام، لتعليمه التواضع في العلم، وأنه وإن كان نبيًا مرسلًا، فقد يكون بعض العباد أعلم منه، وفي هذا من الفقه: رحلة العالم لطلب الازدياد من العلم، والاستعانة على ذلك بالخادم والصاحب، واغتنام لقاء الفضلاء والعلماء، وإن بعدت أقطارهم، كما كان دأب السلف الصالح (٢).

وقد اشتمل ذلك الحوار على مجموعة

(٢) انظر: التفسير المنير، الزحيلي ١٥/ ٢٩٦.

ليس مبنيًّا على الهوى والمزاج.

الثبات عند الخلاف على العقيدة:
 «لقد وقف شعيب عليه السلام عند النقطة التي لا يملك أن يتزحزح وراءها خطوة، إنها عقيدة الوحدانية التي لا يملك أي محاور التنازل عنها، تحت يملك أي محاور التنازل عنها، تحت أي ضغط أو أي تهديد من الطواغيت وإلا لتنازل كلية عن الحق الذي يمثله؛ وَإِنَّا لَنَرَبكَ فِينَاضَعِيفًا وَلُولًا رَهْطُكَ وَإِنَّا لَنَرَبكَ فِينَاضَعِيفًا وَلُولًا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَكُ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزِ الله قال يكفّوهِ أَرَهْ عَلَيْنَا بِعَزِيزِ الله قال يكفّوهِ أَرَهُ عَلَيْنَا بِعَزِيزِ الله قال يكفّوهِ أَرَهْ عَلَيْنَا إِنْ كَرَقِ يعا يَعْمَلُونَ عُمِيطًا ﴾ [هود: ٩١ - ٩٢].

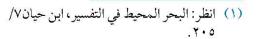
٨. طلب النصرة من الله: فشعيب عليه السلام استفتح على قومه، واستنصر ربه عليهم في تعجيل ما يستحقونه إليهم فقال: ﴿رَبّنَا ٱفْتَحْبَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوّمِنَا وَالْمِهِمُ فَقَالَ: ﴿رَبّنَا ٱفْتَحْبَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوّمِنَا وَالْمَعْنَ ﴿ الْأَعْرَافَ: وملجأ الْأَمان، ويعلم أن ربه هو الذي يفصل الأمان، ويعلم أن ربه هو الذي يفصل بالحق بين الإيمان والطغيان، ويتوكل على ربه وحده في خوض المعركة المفروضة عليه وعلى المؤمنين معه، المفروضة عليه وعلى المؤمنين معه، والتي ليس منها مفر، إلا بفتح من ربه ونصر (۱).

⁽١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب٣/ ١٣٢٢.

كبيرة من آداب المتعلم والتي منها:

- ١. لقد جعل موسى عليه السلام نفسه تبعًا للعبد الصالح رغم كونه هو النبي وقال: ﴿مَلْ أَتَّبِعُكَ ﴾، وفي هذا دليل على التواضع للعالم، وفي هذه القصة دليل على الحث على الرحلة في طلب العلم، وعلى حسن التلطف والاستنزال والأدب في طلب العلم، بقوله: ﴿ مَل أُنَّبِعُك ﴾، وفيه المسافرة مع العالم لاقتباس فوائده (١).
- ٢. أنه استأذن في إثبات هذه التبعية، فقال: هل تأذن لي أن أجعل نفسي تابعًا لك؛ ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلَ أَتَّبِعُكَ ﴾، وهذه مبالغة عظيمة في التواضع.
- ٣. أنه قال: ﴿عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ ﴾، وهذا إقرار منه على نفسه بعدم المعرفة، وعلى أستاذه بالعلم.
- ٤. أنه قال: ﴿مِمَّا عُلِمْتَ رُشْدًا ﴾، وصيغة ما للتبعيض، فطلب منه تعليم بعض ما عَّلمه الله، وهذا أيضًا يشعر بالتواضع، كأنه يقول له: لا أطلب منك أن تجعلني مساويًا في العلم لك، بل أطلب منك أن تعطيني جزءًا من أجزاء علمك، كما يطلب الفقير من الغنى أن يدفع إليه جزءًا من أجزاء ماله.

- ٥. إنّ قول موسى: ﴿مِمَّاعُلِمْتَ ﴾ اعتراف بأن الله علمه ذلك العلم.
- ٦. إن قوله: ﴿ رُشْدًا ﴾ فيه طلب للإرشاد والهداية، والإرشاد هو الأمر الذي لو لم يحصل لحصلت الغواية.
- ٧. إن قوله: ﴿أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ معناه: أنه طلب منه أن يعامله بمثل ما عامل الله به، وفيه إشعار بأنه يكون إنعامك على عند هذا التعليم شبيها بإنعام الله عليك في هذا التعليم (٢).
- ٨. وفي قول العبد الصالح لموسى عليه السلام: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَوْ يُحِطُّ بِهِ خَبُرُ ﴾ [الكهف: ٦٨]، احترام للعقل الذي يؤمن بالأمور الظاهرة، وقد ينكر الأمور الغائبة؛ قال الطبرى: «وكيف تصبر یا موسی علی ما تری منی من الأفعال التي لا علم لك بوجوه صوابها، وتقيم معي عليها، وأنت إنما تحكم على صواب المصيب وخطأ المخطئ بالظاهر الذي عندك، وبمبلغ علمك، وأفعالي تقع بغير دليل ظاهر لرأى عينك على صوابها، لأنها تبتدئ لأسباب تحدث آجلة غير عاجلة، لا علم لك بالحادث عنها، لأنها غيب، ولا تحيط بعلم الغيب خبرًا»(٣).





⁽۲) انظر: مفاتیح الغیب، الرازی ۲۱/ ۶۸۳.(۳) جامع البیان، الطبری ۱۸/ ۷۱.

يطاق^(۳).

ثالثًا: الحوار الدعوي:

الحوار الدعوي من الأساليب الناجعة لتبليغ دعوة الله واقناع الآخرين، وإبراز الصورة واضحة جلية، وقد استخدم القرآن الكريم هذا الأسوب كثيرًا، ومثاله: قصة صاحب الجنتين حيث تضرب مثلًا للقيم الزائلة والقيم الباقية، وترسم نموذجين واضحين للنفس المعتزة بزينة الحياة، والنفس المعتزة بزينة الحياة، والنفس المعتزة بالله، وكلاهما نموذج إنساني لطائفة من الناس، صاحب الجنتين نموذج للرجل الثري، تذهله الثروة، وتبطره النعمة، فينسى القوة الكبر التي تسيطر على أقدار الناس والحياة، ويحسب هذه النعمة أقدار الناس والحياة، ويحسب هذه النعمة حالدة لا تفنى، فلن تخذله القوة ولا الجاه. وصاحبه نموذج للرجل المؤمن المعتز بإيمانه، الذاكر لربه، يرى النعمة دليلًا على

قال تعالى: ﴿وَاصْرِبْ لَمُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّنَيْنِ مِنْ أَعْنَبِ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَحْلِ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿ كُلْتَا ٱلْجُنَّنَيْنِ ءَالَتْ أَكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَلَهُمَا نَهْرًا ﴿ ﴿ وَكُلْكَ لَهُ ثُمَرٌ فَقَالَ لِصَحِيمِهِ وَهُو يُحَاوِرُهُو أَنَا أَكُثَرُ مِنكَ مَا لَا وَأَعَزُ نَفَدًا ﴿ ﴾ وَدَخَلَ جَنَّتُهُ وَهُو ظَالِمُ

المنعم، موجبة لحمده وذكره، لا لجحوده

وکفره^(٤).

ويظهر في توجيهات العبد الصالح لموسى عليه السلام أدب المتعلم حيث علمه تلك القاعدة الأدبية:
 وقال فإن اتّبعتني فكر تشغلي عن شئي حَقَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا الكهف: ٧٠]،
 وقال فإن اتّبعتني أي: إذا رأيت مني شيئا خفي عليك وجه صحته، فأنكرت في نفسك فلا تفاتحني بالسؤال حتى أكون أنا الفاتح عليك، وهذا من أدب المتعلم مع العالم المتبوع (١)، وقال أبو السعود: وفي قوله: ﴿ فَلَا تَسْتَلْنِي السلام عَن شَيْءٍ ﴾ التزام موسى عليه السلام عن شَيْءٍ ﴾ التزام موسى عليه السلام الصبر والطاعة، وهذا من أدب المتعلم من العالم والتابع مع المتبوع (١).

⁽٣) انظر: الكشاف، الزمخشري ٢/ ٧٣٤.

⁽٤) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب٤/ ٢٢٧٠.

⁽١) انظر: البحر المحيط في التفسير، ابن حيان /٧ ٢٠٦.

⁽٢) انظر: إرشاد العقل السليم ٥/ ٢٣٥.

لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُ أَن نَبِيدَ هَلَاهِ أَبَدُا ﴿ وَمَا أَظُنُ السَّنَاعَةَ فَآبِعَةً وَلَهِن رُّدِدتُ إِلَى رَبِّ لَأَجِدَنَ خَيْرًا مِنْهَا مُنقَلَبًا ﴿ قَالَ لَهُ مَاجِئُهُ وَهُو يُعَاوِرُهُ أَكَفَرَت بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُظُفَةِ ثُمَّ سَوْبِكَ رَجُلا ﴿ لَيَ لَلَكُنَا هُوَاللَّهُ رَبِي وَلَا أَشْرِكُ بِرَبِي أَحَدًا ﴿ فَي وَلَوْلا إِذْ وَخَلْتَ وَلَا أَشْرِكُ بِرَبِي أَحَدًا ﴿ وَلَكَ اللَّهُ الْمُؤْةَ إِلَا بِاللَّهُ إِن تَرَنِ مَنْ اللَّهُ لَا فَوْقَ إِلَا بِاللَّهُ إِن تَسَرِنِ مَنْ اللَّهُ لَا فَوْقَ إِلَا بِاللَّهُ إِن تَسَرِنِ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ لَا فَوْقَ إِلَا بِاللَّهُ إِن تَسَرِنِ مَنْ اللَّهُ مَا أَنْفَى مِنْ مَنْ أَنْ اللَّهُ عَلَى مَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى مَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

تخبرنا آيات القصة عن وجود رجلين في الماضي، كان بينهما صلة وصحبة، أحدهما مؤمن، والآخر كافر، وقد أبهمت الآيات اسميّ الرجلين، كما أبهمت تحديد زمانهما ومكانهما وقومهما، فلا نعرف من هما، ولا أين عاشا، ولا في أيّ زمان وجدا، وقد ابتلى الله الرجل المؤمن بضيق ذات اليد، وقلة الرزق والمال والمتاع، لكنه أنعم عليه بأعظم بقدر الله وابتغاء ما عند الله، وهي نعم تفوق بقدر الله وابتغاء ما عند الله، وهي نعم تفوق المال والمتاع الزائل، أما صاحبه الكافر فقد ابتلاه الله بأن بسط له الرزق، ووسع عليه في الدنيا، وآتاه الكثير من المال والمتاع، ليبلوه

هل يشكر أم يكفر؟ وهل يطغى أم يتواضع؟ وقد دار بينهما حوار دعوي مفعم باللفتات الدعوية التربوية والتي نذكر منها ما يأتي:

- قال الرازي: اعلم أن المقصود من هذا أن الكفار افتخروا بأموالهم وأنصارهم على فقراء المسلمين فبين الله تعالى أن ذلك مما لا يوجب الافتخار لاحتمال أن يصير الفقير غنيًا والغني فقيرًا، أما الذي يجب حصول المفاخرة به فطاعة الله وعبادته وهي حاصلة لفقراء المؤمنين، وبين ذلك بضرب هذا المثل المذكور في الآية (١).
- وقال السعدي: الافتخار بأمر خارجي ليس فيه فضيلة نفسية، ولا صفة معنوية، وإنما هو بمنزله فخر الصبي بالأماني، التي لا حقائق تحتها، ثم لم يكفه هذا الافتخار على صاحبه، حتى حكم، بجهله وظلمه (٢).
- ٢. وفي قوله: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّ تَدُ وَهُوَ ظَالِمُ لَلْهِ وَلَى اللَّهُ وَلَهُو ظَالِمُ الْنَعْسِدِ قَالَ مَا أَظُنُ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿ اللَّهُ وَمَا أَظُنُ ٱلسَّنَاعَةَ قَابِمَةً وَلَهِن رُّدِدتُ إِلَى رَبِي لَأَجِدَنَ خَيْرًا مِنْهَا مُنقَلِبًا ﴿ اللَّهُ اللْمُعَلِّمُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُعَالِمُ الللْمُ ال
 - (١) انظر: مفاتيح الغيب ٢١/ ٤٦٢.
- (٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٤٧٧.

- اطمئنان الرجل إلى الدنيا ورضاه بها وإعجابه بجنتيه حتى نسي أن الدنيا لا تبقى لأحد.
- القياس الفاسد وإنكار البعث؛ حيث ظن أن الله لما أنعم عليه في الدنيا فلابد أن ينعم عليه في الآخرة، ولا تلازم بين هذا وذاك، بل إن الكفار ينعمون في الدنيا وتعجّل لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا، ولكنهم في الآخرة يعذّبون.
- تمرده وعناده ؟ لقوله: ﴿ وَلَهِن رُدِدتُ الله كم إِلَىٰ رَبِّ ﴾ قاله على وجه التهكم والاستهزاء!.
- الغالب أن الله يزوي الدنيا عن أوليائه وأصفيائه، ويوسّعها على أعدائه الذين ليس لهم في الآخرة من نصيب (١).
- ٣. وفي قوله: ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُو يُعَاوِرُهُ وَ اللّهِ مَا تَرَابٍ مُمْ مِن أَكَانِ مُ أَعْ مِن تُرَابٍ مُمْ مِن تُرَابٍ مُمْ مِن تُطْفَةٍ مُ سَوَّيك رَجُلا ﴿ لَكِمَنَا هُوَاللّهُ رَبِي فَطْفَةٍ مُ سَوِّيك رَجُلا ﴿ لَلْكِمَنَا هُوَاللّهُ رَبِي فَطْفَةٍ مُ سَوِّيك رَجُلا ﴿ لَا لَكِمَنَا هُوَاللّهُ رَبِي الْحَدَا ﴾ [الكهف: ٣٧ وَلا أَشْرِكُ بِرَتِي أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٣٧ ٣٨].
- إن عزة الإيمان في النفس المؤمنة تنتفض، فلا تبالي المال والنفر، ولا تداري الغنى والبطر، ولا تتلعثم في الحق، ولا تجامل فيه الأصحاب. وهكذا يستشعر المؤمن أنه عزيز أمام الجاه والمال، وأن ما عند الله خير من

- أعراض الحياة، وأن فضل الله عظيم وهو يطمع في فضل الله، وأن نقمة الله جبارة وأنها وشيكة أن تصيب الغافلين المتبطرين.
- نصح صاحبه المؤمن له وتذكيره بنعم الله عليه، وكيف خلقه ونقله من طور إلى طور، ويسر له الأسباب، فكيف يليق بك أن تكفر بالله ؟!.
- أن منكر البعث كافر، وفي قول المؤمن
 ﴿ هُوَ اللَّهُ رَبِّ ﴾ دليل على أن صاحب
 الجنتين قد أشرك.
- أن في تذكر الإنسان مبدأ أمره وخلقه موعظة عظيمة وذكري (٢).
- لا وفي قوله: ﴿ وَلُوْلِاۤ إِذْدَخَلْتَ جَنَّنَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ ٱللَّهُ لَا قُوَةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَـَرَنِ أَنَا أَقَلَ مِاللَهُ مَا لَا وَوَلَدًا ﴾ [الكهف: ٣٩].
- أن نعمة الله على الإنسان بالإيمان والإسلام ولو مع قلة المال والولد هي النعمة الحقيقية، وما عداها معرض للزوال والعقوبة.
- ينبغي للإنسان إذا أعجبه شيء أن يقول: ﴿مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ ﴾ حتى يفوض الأمر إلى الله لا إلى حوله وقوته.
- 🤏 من اعترف بفضل الله عليه، فإنه يبارك
- (۲) انظر: فتح القدير، الشوكاني ۳/ ۳۳۹، في ظلال القرآن، سيد قطب ١٢٧١، تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٤٧٧.

⁽١) انظر: المصدر السابق.

- الله له فيما أعطاه، وأما من أشر وبطر، فلا يبارك الله له فيما آتاه ولا ينتفع به.
- ان ما عند الله خير وأبقى، وما يرجى من خيره وإحسانه أفضل من جميع الدنيا التي يتنافس فيها المتنافسون (١٠).
- ٥. وفي قولة: ﴿ فَعَسَىٰ رَقِتَ أَن يُؤْتِينِ خَيْرًا مِن مِن جَنَيْكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَآءِ فَنُصِّبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ [الكهف: ٤٠]:
- الإرشاد إلى التسلي عن لذات الدنيا
 وشهواتها بما عند الله من الخير.
- الدعاء بتلف مال من كان ماله سبب طغيانه وكفره وخسرانه، خصوصًا إن فضّل نفسه بسبب ماله على المؤمنين وفخر عليهم.
- أن دعاء المؤمن على جنتي الكافر كان غضبًا لله ؛ لكونها غرته وأطغته، لعله ينيب ويراجع رشده ويبصر في أمره.
- لا حرج على الإنسان أن يدعو على ظالمه بمثل ما ظلمه.
- في قوله: ﴿ حُسّبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ ،
 خص السماء لأن ما جاء من الأرض قد يدافع، لكن ما نزل من السماء يصعب
- (۱) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ۲۲/۲۲، فتح القدير، الشوكاني ۳/ ۳۳۹، تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٤٧٨، في ظلال القرآن، سيد قطب ٤/ ٢٢٧٢، التفسير المنير، الزحيلي 1/ ٢٢٧٢،

- دفعه ويتعذر. ابن عثيمين
- قوله: ﴿ خَيْرًا مِنْ جَنَيْكَ ﴾، أي: أفضل منها، وهي جنة الآخرة، وجنة الدنيا هي الفرح بفضل الله والالتذاذ بطاعته، والاغتباط بالأعمال الصالحة، والأنس بذكر الله وشكره، فهذا خير من متاع الدنيا متاع الغرور (٢).
- آ. وفي قولة: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ
 كَفَيَّهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِى خَاوِيلَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا
 وَيَقُولُ يَلْيَنَنِي لَمَ أُشْرِكَ بِرَيِّ أَحَدًا ﴾ [الكهف:
 ٤٢]:
 - 🥮 استجابة الله لدعاء من دعاه.
- کان مآل الجنتین الانقطاع والاضمحلال، وکأنه لم یتمتع بها.
- الندم بعد فوات الأوان لا ينفع، إنما
 ينتفع من سمع القصة واعتبر بها.
- أن ما افتخر به لم يدفع عنه من العذاب شيئًا.
- أن سبب عقوبته لأنه أشرك بالله ونسب نعمة الله إلى غيره، وفضل الله إلى نفسه وقوته وحيلته، وتناسى عطاء الله له (٣).
- (۲) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ٤٧٨، في ظلال القرآن، سيد قطب ٤/ ٢٢٧٢، التفسير المنير، الزحيلي ١٥/ ٢٥٦.
- (٣) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٢١/ ٤٦٢، فتح القدير، الشوكاني ٣/ ٣٣٩، تيسير الكريم الرحمن، السعدي ٤٧٨، في ظلال القرآن، سيد قطب ٤/ ٢٧٧٢، التفسير المنير،

رابعًا: الحوار العتابي:

الحوار العتابي نوع من أنواع الحوارات المختلفة، يتعاتب الفرقاء فيما اختلفوا فيه، وقد يتعاتب الرؤساء والمرؤوسين فيه يوم يكونون سواء أمام رب العالمين، كما ويتعاتب أهل النار وهم في النار وكل منهم يلقي المسؤولية على الآخر، ويكون نقاشهم عقيمًا لا فائدة ترجى منه، وفيما يأتي بعض النماذج لذلك الحوار:

١. حوار ابني آدم عليه السلام.

يقدم هذا الحوار نموذجًا لطبيعة الشر والعدوان ونموذجًا كذلك من العدوان الصارخ الذي لا مبرر له. كما تقدم نموذجًا لطبيعة الخير والسماحة ونموذجًا كذلك من الطيبة والوداعة. وتقفهما وجهًا لوجه، كل منهما يتصرف وفق طبيعته، وترسم الجريمة المنكرة التي يرتكبها الشر، والعدوان الصارخ الذي يثير الضمير ويثير الشعور بالحاجة إلى شريعة نافذة بالقصاص العادل، تكف النموذج الشرير المعتدي عن الإقدام وتخوفه وتردعه بالتخويف عن الإقدام عن الجريمة فإذا ارتكبها على الرغم من وتحفظ حرمة دمه، فمثل هذه النفوس يجب المنكرة، كما تصون النموذج الطيب الخير وتحفظ حرمة دمه، فمثل هذه النفوس يجب

أن تعيش، وأن تصان، وأن تأمن في ظل شريعة عادلة رادعة (١).

قال تعالى: ﴿ وَأَتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ أَبْنَى مَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبًا قُرْبَانًا فَنُقُبُلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُنْقَبَّلُ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْنُلُنَّكُّ قَالَ إِنَّمَا يَنَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُنَّقِينَ اللَّ لَينَ بَسَطِتَ إِلَّ يَدَكُ لِنَقْلُنِي مَا آنًا بِبَاسِطِ يَدِى إِلَيْكَ لِأَقْنُلُكَ إِنَّ أَخَافُ اللَّهَ رَبِّ ٱلْعَكِمِينَ ﴿ إِنَّ أُرِيدُ أَن تَبُواً بِإِنْسِي وَإِيْكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَلِ النَّارْ وَذَلِكَ جَزَّ وُأَ الظَّلِمِينَ اللهُ فَطَوَعَتَ لَهُ نَفْسُهُ وَقَلَلَ أَخِيدِ فَقَلَلَهُ فَأَصَّبَحَ مِنَ ٱلْمُنْسِرِينَ اللهُ عَنْ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَرِي سَوْءَةَ أَخِيةً قَالَ يَدُوتَلُقَ مُ أَعَجُرْتُ أَنْ أَكُونَ مِشْلَ هَلَذَا ٱلْغُلُبِ فَأُوْرِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّدِمِينَ اللهِ مِنْ أَجْلِ ذَالِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيَ إِسْرَهِ مِلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَكُل نَفْسَا بِغَيْرِ نَفْسِ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّهَا لَغَيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا * وَلَقَدْ جَاءَتَهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْمِيْنَاتِ ثُمَّ إِنَّا كَثِيرًا مِنْهُم بَعْدَ ذَالِكَ فِي ٱلأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ اللهُ [المائدة: ۲۷ - ۳۲].

ولقد ظهر في الحوار بعض اللطائف واللفتات والتي نذكر منها ما يأتي:

العبرة في قصة ابني آدم عليه السلام أن الحسد كان سبب أول جريمة قتل في البشر، وأنه هو أس المفاسد

⁽١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب ٢/ ٨٧٤.

الزحيلي ١٥/ ٢٥٦.

والمعايب والرذائل في المجتمع، فالأمة المتحاسدة متمزقة متعادية متباغضة، لا تجتمع على خير، ولا تلتقي على فضيلة، ولا تتعاون على بر وصلاح وتقدم، مما يؤدي إلى الضعف والذل والهوان وعبودية أفرادها لمن سواهم(١).

- إن ابني آدم هذين في موقف لا يثور فيه خاطر الاعتداء في نفس طيبة، فهما في موقف طاعة بين يدي الله(٢).
- ون الله تعالى لا يقبل طاعة إلا من مؤمن مئق (٣).
- لم يسم الله سبحانه وتعالى المتقبل منه والذي لم يتقبل منه إذ لا جدوى لذلك في موقع العبرة، وإنما حمله على قتل أخيه حسده على مزية القبول، والحسد أول جريمة ظهرت في الأرض(1).
- وقوله: ﴿ لَهِنَا بَسَطَتُ إِلَىٰ يَدَكُ لِنَقْتُلِنِ ﴾ النخ موعظة لأخيه ليذكره خطر هذا الجرم الذي أقدم عليه، وفيه إشعار بأنه يستطيع دفاعه ولكنه منعه منه خوف الله تعالى (٥).
- ﴿ وَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا ﴾ دليل على الاستفادة
 - (١) التفسير المنير، الزحيلي ٦/ ١٥٧.
- (٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب ٢/ ٨٧٥.
 - (٣) انظر: الكشاف، الزمخشري ١/ ٦٧٤.
- (٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٦/ ١٧٠.
 - (٥) انظر: المصدر السابق.

- من تجارب الآخرين.
- قال ابن القيم: تأمل الحكمة في إرسال الله تعالى لابن آدم الغراب المؤذن اسمه بغربة القاتل من أخيه وغربته هو من رحمة الله وغربته من أبيه وأهله واستيحاشه منه واستيحاشه منه والغراب أحد الفواسق الخمسة، وفعل ابن آدم وهو القتل من أعظم الفسق فناسب ما بعث إليه هذا الفعل، والله أعلم بمراد كتابه (*).
- ودلت آية: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ ﴾ على تشريع القصاص في حق القاتل على بني إسرائيل. وقوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ ﴾ ليس إشارة إلى قصة قابيل وهابيل، بل هو إشارة إلى ما ذكر في هذه القصة من أنواع المفاسد الحاصلة بسبب القتل الحرام وهو القتل العمد العدوان (٧).

الحوار بين الأتباع والمتبوعين.
 هذا الحوار من الحوارات العقيمة بالنسبة لجدواها للمتحاورين، حيث لا تجلب لهم نفعًا، فهم يتعاتبون بعد انقضاء وقت العمل، ويتمنوا لو تكون لهم كرة ليتبرأوا منهم، وتكون عاقبة أمرهم خسرًا، ويريهم الله أعمالهم حسرات.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَدَّخِذُ

⁽٦) انظر: مفتاح دار السعادة، ابن القيم ١/ ٢٣٩.

⁽V) انظر: التفسير المنير، الزحيلي ٦/ ١٥٩.

لقد تضمنت الآيات السابقة مجموعة من الفوائد والدروس والعبر والتي نذكر منها: ١. يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا وما لهم في الدار الآخرة، حيث جعلوا له أندادًا، أي: أمثالًا ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه، وهو الله لا إله إلا هو، ولا ضد له ولا ندّ له، ولا شريك معه (١). وهؤلاء الذين يتخذون الأنداد مع الله، لا يسوونهم بالله في الخلق والرزق والتدبير، وإنما يسوونهم به في العبادة، فيعبدونهم، ليقربوهم إليه، وَفَى قوله: ﴿يَنَّخِذُ ﴾ دليل على أنه ليس لله ند، وإنما المشركون جعلوا بعض المخلوقات أندادًا له، تسمية مجردة، ولفظًا فارغًا من المعنى، كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَّكَاءَ قُلُ سَمُّوهُمُّ أَمَّ تُنْتِعُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِ ٱلْأَرْضِ أَمِ يِظْنِهِ مِنَ

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/ ٤٧٦.

ٱلْعَوْلُ ﴾ [الرعد: ٣٣](٢).

٧. من أسباب الحب: اعتقاد المحب أن في المحبوب قدرة فوق قدرته، ونفوذا يعلو نفوذه، مع ثقته بأنه يهتم لأمره، ويعطف عليه بحيث يمكنه اللجأ إليه عند الحاجة فيستعين به على ما لا سبيل له إليه بدونه، فهذا الاعتقاد يحدث انجذابًا من المعتقد يصحبه شعور خفي بأن له قوة عالية مستمدة ممن يحب، ويعظم هذا النوع من الحب بمقدار ما يعتقد في المحبوب من الصفات والمزايا التي بها كان مصدر المنافع وركن اللاجئ، وكل ما للمخلوق من ذلك فهو داخل في دائرة الأسباب والمسببات والأعمال الكسبية (٣).

٣. وفي قوله: ﴿وَالَّذِينَ مَامَنُواْ أَشَدُ حُبًا لِلّهِ ﴾ حبًا مطلقًا من كل موازنة، ومن كل قيد، أشد حبًا لله من كل حب يتجهون به إلى سواه، والتعبير هنا بالحب تعبير جميل، فوق أنه تعبير صادق، فالصلة بين المؤمن الحق وبين الله هي صلة الحب، صلة الوشيجة القلبية، والتجاذب الروحي، صلة المودة والقربي، صلة الوجدان المشدود

⁽۲) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٧٩.

⁽٣) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا ٢/ ٥٥-٥٦.

بعاطفة الحب المشرق الودود^(١).

٤. موقف المشركين يوم القيامة عندما يرون جزاء أعمالهم وجزاء إتباعهم لرؤسائهم على معصية الله تعالى، حينما يرون العذاب هو التخلي، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ ٱلْمَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَكِيدُ البقرة: ١٦٥]. قال ابن كثير: «لو عاينوا العذاب لعلموا حينئذ أن القوة لله جميعًا، أي: إن الحكم له وحده لا شريك له، وأن جميع الأشياء تحت قهره، وغلبته، وسلطانه» (۲)، ثم يبدأ المتبوعون بالتخلي عن أتباعهم ٣٠٠). إن أعظم جريمة عند الله هي: الشرك به قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِـ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَالِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أيّ الذنب أعظم عند الله ؟ قال: (أن تجعل لله ندًّا وهو

خلقك)^{(٤)(٥)}.

- 7. تحذير العلماء من أن يتخذوا السلاطين أندادًا من دون الله، و هم علماء الدنيا فإنهم يحلون لمرضاتهم ويحرمون، ويخالفون النصوص الصريحة بضروب سخيفة من التأويل لموافقة أهوائهم، فإن لم يفتوهم بخلاف النص التماسًا لخيرهم، أو هربًا من سخطهم كتموا حكم الله من أجل ذلك، فترى أحدهم إذا سئل: أهذا حق أم باطل وحلال أم حرام ؟ يغض من صوته بالجواب، ولا يجهر بالقول مداراة للعوام، إذا كان الجواب على غير ما هم عليه، ولا سيما إذا كان هؤلاء العامة من الأغنياء وأصحاب السلطة (٢٠).
- ٧. «يتبرأ العابدون أيضًا من معبوديهم، ويتمنون الرجوع إلى الدنيا حتى يعملوا صالحًا ويتبرأوا من الآلهة المزعومة، بل إنهم يطلبون من الله مضاعفة العذاب لهم، كما قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وَجُوهُهُمْ فِ النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيَتَنَا أَطْعَنا اللَّهُ وَالْوَا رَبِّنا إِنَّا إِنَّا اللَّهُ وَالْوا رَبِّنا إِنَّا إِنَّا اللَّهُ وَالْوا رَبِّنا إِنَّا إِنَّا اللَّهُ وَالْوا رَبِّنا إِنَّا إِنَّا اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ وَالْوا رَبِّنا إِنَّا إِنَا إِنَّا إِنَّا إِنَّا إِنَّا إِنَّا إِنَّا إِنَّ إِنَّا إِنَّ إِنَّ إِنَّ إِنَّ إِنَّ إِنَّ إِنَّ إِنَّا إِنَّا إِنَّا إِنَّ إِنَا إِنَّ إِنَّ إِنَّ إِنَّ إِنْ إِنَّ إِنَّ إِنَّ إِنَّ إِنَّ إِنَا إِنَّ إِنْ إِنَّ إِنَا إِنَّ إِنَا إِنَّ إِنَا إِنَا إِنْ إِنَا إِنْ إِنَا إِنَا إِنَا إِنْ إِنَا إِنَّ إِنِي إِنِي إِنَّ إِنْ إِنَا إِنَّ إِنَّ إِنَّ إِنِي إِنْ إِنْ إِنَا إِنْ إِنَا إِنَا إِنَّ إِنَا إِنَا إِنَّ إِنَّ إِنَّ إِنَا إِنَا إِنْ إِنَا إِنَا إِنَا إِنَا إِنَا إِنْ إِنَا إِنْ إِنَا إِنَا

(٤) أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب تفسير

القرآن، سورة البقرة، باب قوله تعالى: ﴿ وَلَا لَكُونَ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ

⁽٥) انظر: التفسير المنير، الزحيلي ١/ ٤٣٢.

⁽٦) تفسير المنار، محمد رشيد رضا ٢/ ٦٣.

⁽۱) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب ٢١٦/١-٢١٧.

⁽٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ٤٧٧.

⁽٣) انظر: جامع البيان، الطبري ٣/ ٢٩٤.

أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلا ﴾ [الأحزاب:٢٦ -٢٧]، وهم في هذا

التمني كاذبون، بل ولو رودوا لعادوا لما نهوا عنه، وإنهم لكاذبون (١٠).

٨. دلت الآيات على أن الاتباع في غير طريق الله شرك يعقب ندامة يوم القيامة فلينظر الإنسان مت يتبع؟ وعلى ماذا؟ ويماذا؟ وإلا فإنه سيكون من النادمين فإذا قال الله: ﴿ الشِّفَكُونَّ أَحْبَارُهُمْ وَرُهُبَكُنَهُمْ أَرْبَابًا مِن دُونِ اللهِ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّلْمُلَّالِلْمُلْلَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ال

٩. لا عذر لأحد في التقليد المحض ولا الاتباع المحض، فالاتباع لا بد أن يكون مبنيًّا على بصيرة وعلم، وليس على هوى ومعصية، ولا يعذر الإنسان في اتباع مثل هذا الاتباع (٣).

10. قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَرْجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ دليل على خلود الكفار فيها، وأنهم لا يخرجون منها، وهذا قول جماعة أهل السنة لهذه الآية، ولقوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَى يَلِجَ ٱلجَمَلُ

في سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف:٤٠](٤)، وهذا الخلود والاشتراك في العذاب إنما يعم الأتباع والمتبوعين.

٣. التحاور بين أهل النار.

كما في الجنة نعيمٌ مادي ونعيمٌ معنوي، هناك في النار أيضًا عذاب مادي وآخر نفسي معنوي، والذي يتمثل في التشفّي والانتقام من بعضهم البعض، ولقد ظهر واضحًا جليًّا في محاورة أهل النار لبعضهم وتعاتبهم الذي أفضى لطلب المزيد من العذاب، وفيما يلى توضيح ذلك:

أخبر الله تعالى في هذه الآيات الكريمات

⁽١) التفسير المنير، الزحيلي ١/ ٤٣٣.

⁽٣) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا ٢/ ٦٩.

أنه لا أحد أخطأ فعلا، وأجهل قولا، وأبعد ذهابًا عن الحق والصواب ممن اختلق على الله زورًا من القول، فقال إذا فعل فاحشة: إن الله أمرني بها، أو كذب بأدلته، وأعلامه الدّالة على وحدانيته، ونبوّة أنبيائه، فجحد حقيقتها ودافع صحتها، فهذا سينال العقاب من الله تعالى، وسيصل إليه حظهم مما كتب الله له في اللوح المحفوظ، وسيأخذوا حظوظهم التي قدرها الله تعالى لهم في الدنيا، إلى أن يتوفاهم فينالوا مصيرهم في الأخرة (١٠).

ولقد تضمنت هذا الآيات العديد من الدروس والعبر واللفتات والهدايات، نقتطف منها ما يأتي:

ال المُعَالَ الْمُعُلُوا فِي أَسْمِ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِن الْمَعِنْ وَالْإِنسِ فِي النَّالِ الْعراف: ٣٨]، أي: يقول الله لكفار العرب، وهم المفترون الكذب والمكذبون بالآيات وذلك يوم القيامة «وعبر بالماضي لتحقّق وقوعه، وقوله ذلك على لسان الملائكة» (١٠): ﴿ اَدْعُلُوا فِي أَسْمِ قَدْ خَلَتَ مِن قَبْلِكُم ﴾ على مذهبكم ﴿ مِن المَاضِي النَّارِ خُلْماً دَخَلَتْ ﴾، يعني: النار ﴿ أُمّنةُ ﴾: جماعة، ﴿ المَنتُ الْخَنْبَا ﴾ النار ﴿ أُمّنةُ أَخْنَا ﴾ يعني: «لعنت الأمة التي دخلت قبلها يعني: «لعنت الأمة التي دخلت قبلها

(۳) تفسير السمرقندي ۲/ ۳۰.

غررتمونا^(۱).

النار»(۳)، «إذ هي قد ضلّت باتباعها

وتقليدها في الكفر، كما قال تعالى:

﴿ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِينَمَةِ يَكُفُرُ بَعَضُكُم

بِبَغْضِ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا

وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُمُ مِن

نَّاصِينِ ﴾ [العنكبوت: ٢٥]. و هكذا

يلعن أصناف الكفار بعضهم بعضًا،

ويتبرّأ بعضهم من بعض»(٤)، قال

مقاتل: «يعنى: لعنوا أهل ملتهم»(٥)،

فيلعن المشركون المشركين واليهود

اليهود، وكذلك النصاري النصاري

والمجوس المجوس ويلعن الأتباع

القادة يقولون: لعنكم الله أنتم

٢. ﴿ حَتَّ إِذَا آذَارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا ﴾، أي:

تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار، ﴿قَالَتَ أُخْرَنهُمْ ﴾ منزلة،

وهي: الأتباع والسفلة ﴿لِأُولَئُهُمْ ﴾

منزلة، وهي القادة والرؤوس، ومعنى

﴿ لِأُولَـٰهُمْ ﴾: لأجل أولاهم؛ لأن

خطابهم مع الله لا معهم، ﴿عَذَابًا ضِعَفًا﴾: مضاعفًا، ﴿لِكُلِّ ضِعْفُ ﴾ (٧)،

«للقادة ضعف؛ لغوايتهم وإغوائهم؛

⁽٢) تفسير البحر المحيط، أبو حيان ٢٩٧/٤.



⁽٤) التفسير المنير، الزَّحيلي٤ / ٥٦٤.

⁽٥) تفسير السمرقندي ١/٥٣٠.

⁽٦) انظر: الكشف والبيان، الثعلبي ٤/ ٢٣٢.

⁽V) انظر: الكشاف، الزمخشري ٣/ ٩٨.

⁽١) انظر: جامع البيان ٢١/ ٤٠٨.

عداوة وملاعنة(٢).

- شر الظلم ما كان كذبًا على الله تعالى، وتكذيبا بشرائعه (٣).
- ٥. بينت هذه الآيات أن هؤلاء الناس اجتمعوا في الدنيا على الباطل، ثم يوم القيامة تتفكك الروابط، وتنقلب المحبة إلى عداوة ويغضاء، قال سيد قطب: «كانت هذه الأمم، والجماعات، والفرق في الدنيا من الولاء بحيث يتبع آخرها أولها، ويملى متبوعها لتابعها، فلننظر اليوم كيف تكون الأحقاد بينها، وكيف يكون التنابز فيها، كلما دخلت أمة لعنت أختها، فما أبأسها نهاية تلك التي يلعن فيها الابن أباه، ويتنكر فيها الولى لمولاه (٤)، وهذا كما أخبر الله تعالى: ﴿ ٱلأَخِلَاءُ بَوْمَهِلِمِ بَعَضُهُمْ لِبَعْضِ عَدُوًّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزّخرف: ٢٧]، «السّادة والأتباع في الكفر سواء، يدخلون النّار، ويضاعف لهم العذاب، إما بالإضلال وهو فعل السّادة، أو بالتّقليد وإهمال العقل، وهو فعل الأتباع، والتّعذيب ليس تشفّيًا وانتقامًا، وإنما هو بسبب اقتراف السيئات

لضلالهم وإضلالهم، وللأتباع ضعف؛ لكفرهم؛ ولاقتدائهم؛ ولتقويتهم أمر القادة، فلولا الأتباع ما كان للقادة سلطان، أو للمستقدمين ضعف بضلالهم وإضلالهم، وللمتأخرين ضعف بضلالهم ومتابعتهم»(۱).

٣. ﴿ وَقَالَتَ أُولَنَهُمْ لِأُخْرَنَهُمْ ﴾ أي: الرؤساء قالوا لأتباعهم: ﴿فَمَاكَاتَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضَّلِ ﴾ أي: قد اشتركنا جميعًا في الغي والضلال، وفي فعل أسباب العذاب، فأي فضل لكم علينا، ﴿ فَذُوقُوا ٱلْمَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾، ولكنه من المعلوم أن عذاب الرؤساء، وأثمة الضلال أبلغ وأشنع من عذاب الأتباع، كما أن نعيم أئمة الهدى ورؤسائه أعظم من ثواب الأتباع، قال تعالى: ﴿ أَلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَكَّدُواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴾ [النحل: ٨٨]، فهذه الآيات ونحوها، دلت على أن: سائر أنواع المكذبين بآيات الله مخلدون في العذاب، مشتركون فيه وفي أصله، وإن كانوا متفاوتين في مقداره، بحسب أعمالهم وعنادهم وظلمهم وافترائهم، وأن مودتهم التي كانت بينهم في الدنيا تنقلب يوم القيامة

⁽۲) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ۲۸۸.

⁽٣) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري ٢/ ١٧٣.

⁽٤) في ظلال القرآن ٣/ ١٥٥.

⁽١) الأساس في التفسير، سعيد حوى ٤/ ١٩٠٠.

واعتقاد الكفر »(١).

٦. بينت الآيات أن من أعظم أسباب الانحراف لدى الناس هو: التقليد الأعمى لبعضهم في مسائل الاعتقاد، وقد ذم الله تعالى الكفار باتباعهم لآبائهم في الباطل(٢)، «واقتدائهم بهم في الكفر والمعصية، وتركهم النظر فيما دعاهم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم (٣)، وهذا في الباطل صحيح، أما التقليد في الحق فأصل من أصول الدين (٤). ولعل القرطبي أراد بالتقليد الذي يعتبر أصلًا من أصول الدين هو التقليد: في فرعيات مسائل الدين. قال الشيخ أبو بكر الجزائري: يحرم التقليد في العقائد مطلقًا(٥)، وإنما لا بدّ من غرس العقيدة بالحجة والبرهان(٦٠)، أما في الفروع فهو أهون، والتقليد هو قبول الحكم بلا دليل ولا حجة (٧)، وقال ابن عطية: أجمعت الأمة على إبطال التقليد في العقائد^(٨).

هناك حوارات عديدة وردت في القرآن الكريم، لم تكن هذه الغاية هدفها؛ فجاءت عقيمة الفائدة للمتحاورين، وذلك زيادة في تعذيبهم عذابًا نفسيًا بجانب العذاب الجسدي، ومن أمثل هذا النوع: الحوار الذي دار بين المستكبرين والأتباع وخزنة

النار، وحوار الضعفاء والمستكبرين بين

يدي الله، وحوار الشيطان وأتباعه في النار،

وحوار الكافر وقرينه الشيطان بين يدي الله،

٧. كل دعاة التقليد الأعمى من هؤلاء

المضلين الذين يضاعف لهم العذاب، وأن أثمة الهدى من علماء السلف

ليسوا منهم ؟ لأنهم كانوا يستنبطون

الأحكام من الكتاب والسنة ؛ ليفتحوا

للناس أبواب الفهم والفقه فيهما، مع

نهيهم عن تقليدهم، وأمرهم بعرض

كلامهم على الكتاب والسنة، وأخذ

ما وافقهما ورد ما عداه، ومنهم الأثمة

الأربعة الذين تنتمى إليهم طوائف

السنة، وأئمة العترة الذين تنتمي إليهم

الغاية من الحوار هي الوصول إلى

ما يريح النفس من اقتناعِ وتسليم، ولكن

الشيعة^(٩).

خامسًا: الحوار العقيم:

(١) التفسير المنير، الزحيلي ٤/ ٥٦٦.

⁽٢) انظر: الجامع لأحكّام القرآن، القرطبي

⁽٣) انظر: المصدر السابق ١٦/ ٧٥.

⁽٤) انظر: المصدر السابق ٢/ ٢١١.

⁽٥) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري ١/ ١٤٥.

⁽٦) انظر: التفسير المنير، الزحيلي ١٠/ ٤٨٨.

التفاسير، الجزائري (٧) انظر: أيسر .180/1

لأحكام القرآن، الجامع (۸) انظر:

القرطبي ٢/ ٢١٢.

⁽٩) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا . T79/A

وفيما يأتي تفصيل ذلك.

 حوار المستكبرين والأتباع وخزنة النار.

يخبر تعالى عن تخاصم أهل النار، وعتاب بعضهم بعضًا واستغاثتهم بخزنة النار، وعدم الفائدة في ذلك فقال: ﴿ وَإِذَ يَتَحَلَّجُونَ فِي النّارِ فَيَعُولُ الضَّعَفَتُواُ لِلَّا اللّهَ عَلَى النّارِ فَيَعُولُ الضَّعَفَتُواُ لِلّاَيْنِ السّتَحَبِّرُواْ إِنّا كُنّالَكُمْ بَبَعًا فَهَلَ الشّع مُغْنُونَ عَنّا نصيبًا مِن النّادِ (الله قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْمِبَادِ (الله قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْمِبَادِ (الله وَقَالَ الّذِينَ الْمِبَادِ (الله وَقَالَ الّذِينَ الْمِبَادِ الله قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْمِبَادِ (الله وَقَالَ الّذِينَ فِي النّارِ لِخَزْنَةِ جَهَنّمَ ادْعُواْ رَبّكُمْ يُخَفِّفُ اللّذِينَ عَنّا يَوْمًا مِنَ الْمُدَابِ (الله قَالُواْ الْوَلَمَ تَكُ تَأْتِينَاتِ قَالُواْ الْوَلَمَ تَكُ تَأْتِينَاتِ قَالُواْ بَلَيْ قَالُواْ الْمَدَالِ الله فَالْوَا الْمَكُمْ وَاللّهُ قَالُواْ الْمَدَالِ اللّهِ فَالُواْ الْمَدَالِ اللّهُ قَالُواْ الْمَا تَكُ قَالُواْ الْمَدَالِ الله فَالُواْ الْمَاكِلُولُ فَالُواْ الْمَكَالِ اللّهِ فَالُواْ الْمَاكِلُ فَالُواْ الْمَاكِلُولُ وَمَا دُعُواْ الْمَكَافِينَ إِلّا فِي ضَلَالٍ اللهِ فَالْوالِ عَلَى اللّهُ اللّهِ فَالْوالِ اللّهُ فَالُواْ الْمَلْكِ فَالْوالْ اللّهُ فَالُواْ الْمَاكِلُولُ الْمُؤْلِلُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللللللّهُ اللللللّهُ الللللللللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللللللللللللللللللللل

يحتج التابعون بإغواء المتبوعين، ويتبرأ المتبوعون من التابعين، فيقول الضّعفاء: أنتم أغويتمونا، وأضللتمونا، وزينتم لنا الشرك والشر، فهل تستطيعوا أن تخففوا عنا من عذاب الله ولو قليلًا؟؛ فيرد عليهم القادة المستكبرون: إن الله جعل لكل منا قسطًا من العذاب، فلا يزاد في ذلك ولا ينقص منه، ولا يغير ما حكم به الحكيم (۱).

قال الفخر الرازي: «واعلم أن أولئك

الأتباع يعلمون أن أولئك الرؤساء لا قدرة لهم على ذلك التخفيف، وإنما مقصودهم من هذا الكلام المبالغة في تخجيل أولئك الرؤساء، وإيلام قلوبهم؛ لأنهم هم الذين سعوا في إيقاع هؤلاء الأتباع في أنواع الضلالات، فعند هذا يقول الرؤساء: ﴿إِنَّا لَيْهُمَا ﴾، يعني: أن كلنا واقعون في هذا العذاب، فلو قدرت على إزالة العذاب عنك لدفعته عن نفسي، ثم يقولون: ﴿إِنَّ الْمُبَادِ ﴾، يعني: يوصل عنك لدفعته عن نفسي، ثم يقولون: ﴿إِنَّ الْمُبَادِ ﴾، يعني: يوصل العذاب العذاب العذار حقه من النعيم أو من العذاب» (العذاب) (المناب) (العذاب) (العناب) (العذاب) (العذاب)

ولما يتسوا من السادة اتّجهوا إلى خزنة جهنم يطلبون منهم الدعاء:

أهل النار: ادعوا الله ربّكم لعله أن يخفف عنا مقدار يوم من العذاب.

خزنة النار: أو ما جاءتكم الرسل في الدنيا بالحجج والأدلة الواضحة على توحيد الله، والتحذير من سوء العاقبة ؟

أهل النار: بلى، قد جاءتنا الرسل، فكذبناهم، ولم نؤمن بهم ولا بما جاؤوا به من الحجج.

خزنة النار: إذا كان الأمر كما ذكرتم، فادعوا أنتم لأنفسكم، فنحن لا ندعو لمن كفر بالله وكذّب رسله، ولا فائدة من

⁽۱) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٧٣٩.

⁽۲) مفاتيح الغيب ۲۷/ ٦٥.

دعائكم^(۱).

ويظهر من خلال هذا الحوار بعض الدروس والعبر واللفتات، نذكر منها:

- «هذه كانت خصومة بين الأتباع مع المتبوعين، ولم تنته إلى طائل إلا زيادة الحسرة والغم والهم»(٢).
- التنديد بالكبر والاستكبار؛ إذ الكبر عائق عن الطاعة والاستقامة.
- «لا يستجاب دعاء الكافر في الدنيا والآخرة إلا ماشاء الله، ولا تقبل المعذرة يوم القيامة، ولا يستجاب الدعاء لمن في النار (٣).

الحوار بين الضعفاء والمستكبرين.

قال الله تعالى: ﴿ حَمِيعًا فَقَالَ الشُّعَفَتُوّاً لِلَّذِينَ اسْتَكُبُرُوّاً إِنّا حُنّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلَ النّبُهِ مِن مَنَّ وَقَالُواْ أَنتُه مُّغْنُونَ عَنّا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِن مَنَّ وَقَالُواْ لَوَهَدُننَا اللّهُ لَمَدَيْنَكُمُ شَوَاهُ عَلَيْسَنَا لَوَهَدُننَا اللّهُ لَمَدَيْنَكُمُ شَوَاهُ عَلَيْسَنَا لَوَهَمَدُننَا اللّهُ لَمَدَيْنَكُمُ شَوَاهُ عَلَيْسَنَا لَوَهُمَ اللّهُ عَلَيْسَنَا اللّهُ لَمَدَيْنَكُمُ اللّهُ عَلَيْسَنَا اللّهُ عَلَيْسَنَا اللّهُ عَلَيْسَنَا اللّهُ عَلَيْسَنَا الله عَمَيونَ اللّهُ عَلَيْسَنَا الله عَمْدِينَ اللّهُ عَلَيْسَنَا اللّهُ عَلَيْسَنَا اللّهُ عَلَيْسَنَا الله عَمْدِينَ اللّهُ عَلَيْسَنَا اللّهُ عَلَيْنَا اللّهُ عَلَيْسَانَا عَلَيْسَالَ اللّهُ عَلَيْسَالَ اللّهُ عَلَيْسَالًا اللّهُ عَلَيْسَانَا اللّهُ عَلَيْسَانَا عَلَيْسَانَا اللّهُ عَلَيْسَانَا اللّهُ عَلَيْسَانَا عَلَيْسَانَا اللّهُ عَلَيْسَانَا عَلَيْسَانَا عَلَيْهُ عَلَيْسَانَا عَلَيْسَانَا عَلَيْنَا عَلَيْسَانَا عَلَيْسَانَا عَلَيْسَانَا عَلَيْسَانَا عَلَيْسَانَا عَلَيْسَانَا عَلَيْسَانَا عَلَيْسَانَا عَلَيْنَا عَلَيْسَانَا عَلَيْسَانَا عَلَيْسَانَا عَلَيْسَانَا عَلَيْسَانَا عَلَيْنَا عَلَيْسَانَا عَلَيْنَا عَلَيْسَانَا عَلَيْسَانَا عَلَيْنَا عَلَيْسَانَا عَلَيْسَانَا عَلَيْنَا عَلَيْنَا عَلَيْنَا عَلَيْنَا عَلَيْسَانَا عَلَيْنَا عَلَيْنَا

بين الله تعالى في هذه الآية الكريمة أن الله تعالى يجمع الخلائق كلها، برها وفاجرها، في براز من الأرض، وهو المكان الذي ليس فيه شيء يستر أحدا، ويبدأ

الجدال بين الأتباع وسادتهم، حيث يقول الأتباع لقادتهم وسادتهم وكبرائهم الذين استكبروا عن عبادة، الله وحده لا شريك له، وعن موافقة الرسل: ﴿إِنَّا كُنَّ الْكُمْ تَبَمَّا فَهَلِ أَنتُر مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللهِ مِن شَيْءٍ ﴾.

فهل انتر معنون عنا مِن عداب الله مِن مَيْو ...
أي: فهل تدفعون عنا شيئًا من عذاب الله، كما كنتم تعدوننا وتمنوننا؟ فقالت القادة لهم: ﴿ قَالُوا لَوْ هَدَىٰنَا اللّهُ لَمَدَيْنَكُمْ ﴾، ولكن حق علينا قول ربنا، وسبق فينا وفيكم قدر الله، وحقت كلمة العذاب على الكافرين.

﴿ سَوَآءُ عَلَيْ نَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَجِيعِي ﴾،أي: ليس لنا خلاص مما نحن فيه إن صبرنا عليه أو جزعنا منه (٤).

قال سيد قطب رحمه الله: «والضعفاء هم الضعفاء، هم الذين تنازلوا عن أخص خصائص الإنسان الكريم على الله، حين تنازلوا عن حريتهم الشخصية في التفكير والاعتقاد والاتجاه، وجعلوا أنفسهم تبعًا للمستكبرين والطغاة، ودانوا لغير الله من عبيده واختاروها على الدينونة لله.

والضعف ليس عذرًا، بل هو الجريمة، فما يريد الله لأحد أن يكون ضعيفًا، وهو يدعو الناس كلهم إلى حماه يعتزون به والعزة لله، وما يريد الله لأحد أن ينزل طائعًا

⁽٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٤٨٨.

⁽١) انظر: التفسير المنير، الزحيلي ١٢/ ٥٩.

⁽٢) أيسر التفاسير، الجزائري ٤/٠٤٠.

⁽٣) المصدر السابق ٤/ ٤٥.

عن نصيبه في الحرية التي هي ميزته ومناط تكريمه أو أن ينزل كارها، والقوة المادية كائنة ما كانت لا تملك أن تستعبد إنسانًا يريد الحرية، ويستمسك بكرامته الآدمية، فقصارى ما تملكه تلك القوة أن تملك الجسد، تؤذيه وتعذبه وتكبله وتحبسه، أما الضمير، أما الروح، أما العقل: فلا يملك أحد حبسها، ولا استذلالها، إلا أن يسلمها صاحبها للحبس والإذلال»(۱).

٣. الحوار بين الشيطان وأتباعه.

لما ذكر المناظرة التي وقعت بين الرؤساء والأتباع من كفرة الإنس: أردفها بالمناظرة التي وقعت بين الشيطان وبين أتباعه من الإنس^(۲)، وموضوع المناظرتين واحد، وهو: تبرؤ المتبوع من التابع، ولكن الشيطان كان أصدق في هذه المحاورة من الإنسان ؛ لأنه أعلن أن الله وعد الناس وعد

الحق، وهو البعث والجزاء على الأعمال، فوفى لهم بما وعدهم، وأما هو فوعد الناس بخلاف ذلك، وأنه لا بعث ولا جزاء، فأخلف الوعد (٣).

ففي الآية: يخبر الله تعالى عن موقف إبليس يوم القيامة، فبعد أن يقضى الأمر ويدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ويستقر كل فريق منهم قرارهم(٤)، ينادي إبليس في جماعته الذين أغواهم: إن الله وعدكم، أيها الأتباع، النار، ووعدتكم النّصرة، فأخلفتكم وعدي، ووفى الله لكم بوعده، وما كان لي عليكم، فيما وعدتكم من النصرة، من حجة تثبت لي عليكم بصدق قولي: ﴿إِلَّا أَنْ دَعُوْتُكُم ﴾، وهذا من الاستثناء المنقطع عن الأول، بمعنى: ولكن دعوتكم فاستجبتم لي، استجبتم إلى طاعتي، ومعصية الله، فلا تلوموني على إجابتكم إياي، ولكن لوموا أنفسكم، فلا أنا مغيثكم من عذاب الله، ولا أنتم مغيثي؛ لأني جحدت أن أكون شريكًا لله فيما أشركتموني فيه من عبادتكم في الدنيا، فالعذاب لكل من كفر بالله(٥).

قال ابن عاشور: «وقد جيء في هذه الآية بوصف حال الفرق يوم القيامة، ومجادلة

⁽١) في ظلال القرآن ٥/ ١٥٠.

⁽٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ١٩/ ٨٧.

⁽٣) انظر: التفسير المنير، الزحيلي ٧/ ٢٥٨.

⁽٤) وزمن الخطبة يكون بعد فصل القضاء وقبل دخول النار، والله أعلم.

انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٤٩٠.

⁽٥) انظر: جامع البيان، الطبري ١٦/ ٥٦٠ -٥٦١.

أهل الضلالة مع قادتهم، ومجادلة الجميع للشيطان، وكون المؤمنين في شغل عن ذلك بنزل الكرامة، والغرض من ذلك تنبيه الناس إلى تدارك شأنهم قبل الفوات، فالمقصود: التحذير مما يفضى إلى سوء المصير»(١).

خوار الكافر وقرينه (الشيطان)
 بين يدي الرحمن.

قال تعالى: ﴿ قَالَ قَيِئُهُ رَبَّنَا مَا أَلَمْ فَيْ تُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالِ بَعِيدِ ﴿ ﴿ قَالَ لَا تَغْنَصِمُوا لَدَى وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَى وَمَا أَنَا بِظَلَادِ الْتِهِيدِ ﴾ [ق:٢٧ - ٢٩].

يخبر الله تعالى أن الكافر يقول يوم القيامة عن قرينه، وهو الشيطان الذي وكل به: يا رب، هذا أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني، فيقول القرين: ما أضللته، بل كان هو في نفسه ضالًا قابلًا للباطل معاندًا للحق، فيقول الرب عز وجل لهما: ﴿ قَالَ لَا لَمُعَلَّمُ مُنَا لِلَكُمْ عَلَى اللّهِ عَنْدِي، ﴿ وَقَدَّ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمُ اللّهِ اللّه وأنزلت الكتب، وقامت عليكم الرسل، وأنزلت الكتب، وقامت عليكم الحجج والبينات والبراهين (٢) على أن من كفر بالله وأشرك به وعصى رسله فإن له نار جهنم خالدًا فيها أبدًا) (٣).

ثم يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيله

للمشركين وقرنائهم من الجنّ يوم القيامة، إذ تبرأ بعضهم من بعض: ما يغير القول الذي قلته لكم في الدنيا، وهو قوله: ﴿ قَالَ اَخْرُمْ مِنْهُمْ مَذْهُومًا مَّدَّهُورًا لَّمَن تَبِعكَ مِنْهُمْ لَأَمَلَأَنَّ جَهَنَّمْ مِنكُمْ مَنْهُمْ لَأَمَلَأَنَّ جَهَنَّم مِنكُمْ مَنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّم مِنكُمْ مَنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّم مِنكُمْ مَنهم فيها) [الأعراف: ١٨]، ولا قضائي الذي قضيته فيهم فيها) [الم

أهم الفوائد والدروس والعبر المستفادة من هذه الحوارات:

- بيان أن التقليد والتبعية لا تكون عذرًا لصاحبها عند الله تعالى (٥).
- العتاب والنزاع والخصام قائم بين أهل النار، فهذه محاورة بين القادة والأتباع تدل على عجز السادة عن تحقيق أي شيء لأتباعهم الذين اتبعوهم في الدنيا، فهم لا يستطيعون تخليص أنفسهم من عذاب الله، ولا تحقيق أي نفع لذواتهم، فبالأولى لا يتمكنون من نفع غيرهم، والكل لا يجدون مهربًا ولا ملجأ من عذاب الله، وعقابه على الكفر والعصيان، وذلك سواء صبروا على العذاب، أو جزعوا وضجروا.
- ٣. إقرار السادة بالضلال، فدعوا أتباعهم إلى الضلال، ولو هدوا وأرشدوا لأرشدوا غيرهم، وهذا كذب منهم، كما قال تعالى حكاية عن المنافقين:

⁽٤) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٢/ ٣٥٩.

⁽٥) انظر: أيسر التفاسير، الجزّائري ٣/ ٥٤.

⁽١) التحرير والتنوير ١٣/ ٢١٦.

⁽٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/ ٣٠٤.

⁽٣) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري ٥/ ١٤٧.

﴿ يَوْمَ يَبَعَثُهُمُ اللّهُ جَمِيعًا فَيَسَلِغُونَ لَهُ كَمَا يَعْلِغُونَ لَهُ كَمَا يَعْلِغُونَ لَكُمْ كَمَا يَعْلِغُونَ لَكُمْ تَعْمُ وَكُمْ وَكُمْ مَكُمُ مَكُمُ الْكَلْفِيُونَ ﴾ [المجادلة: ١٨] (١).

- يان أن الشيطان هو المعبود من دون الله تعالى، إذ هو الذي دعا إلى عبادة غير الله وزينها للناس (٢).
- ه. استنبط الرازي من هذه الآيات «أن الشيطان الأصلي هو النفس، وذلك؛ لأن الشيطان بين أنه ما أتى إلا بالوسوسة، فلولا الميل الحاصل بسبب الشهوة، والغضب، والوهم والخيال، لم يكن لوسوسته تأثير البتة، فدل هذا على أن الشيطان الأصلي هو النفس» (٣).
- 7. كانت مواعيد الشيطان باطلة، ووعد الله هو الحق، واتبع الناس قول الشيطان بلا حجة ولا برهان، وتبرأ الشيطان منهم، ومن عملهم، فليس لهم لوم عليه، إنما عليهم اللوم، وأيأسهم بأنه لا نصر عنده، ولا عون، ولا إغاثة، بل هو محتاج إلى من ينصره، وكفر بشركهم له في الدنيا، وهذا تنبيه لهم مما سيلقونه من العذاب (٤).
- ٧. لم يكن للطغاة أن يتسلطوا على

(٤) انظر: التفسير المنير، الزحيلي ٧/ ٢٥٩.

الضعفاء إلا لما أهدر الضعفاء حرياتهم في العقيدة، والتفكير، وفي كل شيء، وأسلموها للطغاة، واشتروا بعقولهم أهواءهم فصاروا عبيدًا للشيطان، قال سيد قطب: إن الطغاة لا يملكون أن يستذلوا الجماهير إلا برغبة هذه الجماهير، فهي دائمًا قادرة على الوقوف لهم لو أرادت، فالإرادة هي التي تنقص هذه القطعان، إن الذل لا ينشأ إلا عن قابلية للذل في نفوس الأذلاء، وهذه القابلية هي وحدها التي يعتمد عليها الطغاة (٥).

- ٨. كل من الشيطان والفاجر الكافر يلقي التبعة في كفره على الآخر، ويتبرأ الشيطان من الكافر، ويكذبه يوم القيامة، وينسب الطغيان والكفر له، لا لنفسه، والحق أن كلا الفريقين في النار، وقد أعذر من أنذر، والله تعالى أرسل الرسل، وأنزل الكتب لهداية الإنس والجن، فاختار كل منهما ما يحلو له (١).
- أخبر تعالى ذكره هذا الخبر، عن قول قرين الكافر له يوم القيامة إعلامًا منه عباده: تبرأ بعضهم من بعض يوم القيامة (٧).

⁽١) انظر: التفسير المنير، الزحيلي ٧/ ٢٥٨.

⁽٢) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري ٣/ ٥٤.

⁽٣) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ١٩/٨٨.

⁽٥) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب ٥/١٥١.

⁽٦) انظر: التفسير المنير، الزحيلي ١٣/ ٦٣٨.

⁽V) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٦/ ٣٥٨.

١٠. نفي الظلم عن الله تعالى، وهو
 كذلك فلا يظلم الله أحدًا من خلقه (١).

قواعد الحوار

إن قواعد الحوار والاختلاف وضوابطه هي العاصم للمتحاورين من الغلو وشتم الآخرين إن كان الحق هو الرائد والمطلوب، أما إذا كان الخلاف انتصارًا لأهواء سياسية وتعصبًا أعمى، فهذا أمر لا ينفع معه قواعد ولا ضوابط، إذ إن الهوى ليس له ضوابط ولا موازين، ولذلك حذرنا الله تعالى من اتباع موازين، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُ مِنْ اللّهِ عِنْ اللّهِ عِنْ اللّهِ القواعد القرآنية والتي منها:

أولًا: الحوار بالتي هي أحسن:

إن من أهم ما يتوجه إليه المحاور في حواره، التزام الحسنى في القول والمجادلة، قال تعالى: ﴿ وَقُل لِمِبَادِى يَقُولُوا اللِّي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [الإسراء: ٥٣].

وقال عز وجل: ﴿ آدَّعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ
إِلَّهُ كُمْهُ وَٱلْمُوْعِظَةِ ٱلْحُسَنَةُ وَجَدْدِلْهُمْ بِالَّتِي

هِى َ أَحْسَنُ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ
هِى َ أَحْسَنُ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ
كُسِّنًا ﴾ [البقرة: ٨٣]؛ فعلى المحاور اللبيب
طالب الحق، أن ينأى بنفسه عن أسلوب
الطعن والتجريح والهزء والسخرية، وألوان
الاحتقار والإثارة والاستفزاز، حتى لو
تعرض للاحتقار والازدراء؛ قال الطبري:

(١) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري ٥/ ١٤٨.



وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذي (١).

ويلحق بهذا الأصل: تجنب أسلوب التحدي والتعسف في الحديث، ويعتمد إيقاع الخصم في الإحراج، ولو كانت الحجة بينه والدليل دامغًا، فإن كسب القلوب مقدم على كسب المواقف، وقد تفحم الخصم ولكنك لا تقنعه، وقد تسكته بحجة ولكنك لا تكسب تسليمه وإذعانه، وأسلوب التحدي يمنع التسليم، ولو وجدت القناعة العقلية. والحرص على القلوب واستلال السخائم أهم وأولى عند المنصف العاقل من استكثار الأعداء واستكفاء الإناء. وإنك لتعلم أن إغلاظ القول، ورفع الصوت، وانتفاخ الأوداج، لا يولد إلا غيظًا وحقدًا

وحنقًا، ومن أجل هذا فليحرص المحاور؛ ألا يرفع صوته أكثر من الحاجة فهذا رعونة وإيذاء للنفس وللغير، ورفع الصوت لا يقوي حجة ولا يجلب دليلًا ولا يقيم برهانًا؛ بل إن صاحب الصوت العالي لم يعل صوته -في الغالب -إلا لضعف حجته وقلة بضاعته، فيستر عجزه بالصراخ ويواري ضعفه بالعويل، وهدوء الصوت عنوان العقل والاتزان، والفكر المنظم والنقد الموضوعي (٢).

ثانيًا: الإنصات الجيد وحسن الاستماع:

الإنصات الجيد هو بداية الحوار الفعّال الناجح مع الآخرين، والغريب أن الذين يتقنون هذه المهارة قلائل جدّا، لذلك كان من الضروري أن نتعلم هذه المهارة؛ لأنها ستفتح لنا مجالًا أكبر للتواصل مع من حولنا والتحاور بصورة أفضل وستفتح لنا المجال في بناء علاقات مميزة مع الآخرين.

والإنصات: هو السكوت للاستماع^(۳)، وهناك فرق بين السماع والاستماع: فالسماع قد يكون بغير قصد ولا انتباه، أما الاستماع فهو بقصد وانتباه وتركيز كما جاء

⁽١) انظر: جامع البيان، الطبري ١٧/ ٣٢١.

⁽۲) انظر: الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، أحمد بن عبد الرحمن الصويان، ص١٨٧.

⁽٣) انظر: الصحاح، الجوهري ١/ ٢٦٨.

في معجم الفروق اللغوية: إن الاستماع هو استفادة المسموع بالإصغاء إليه ليفهم، ولهذا لا يقال: إن الله يستمع، وأما السماع فيكون اسمًا للمسموع يقال لما سمعته من الحديث: هو سماعي، ويقال للغناء: سماع، ويكون بمعنى السمع، تقول: سمعت سماعًا، كما تقول: سمعت سمعًا(١).

ويظهر ذلك جليًّا في قوله تعالى: ﴿فُلُّ أُوحِيَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرُّ مِنَ ٱلْجِينَ فَقَالُوٓا إِنَّا سَمِعْنَا مُّوانًا عَبَا ﴾ [الجنّ:١]، يقول البقاعي: ﴿ السَّمَعَ ﴾ أي: بغاية الإصغاء والإقبال والتقبل والإلف استماعًا هو الاستماع في الحقيقة (٢).

أهمية الاستماع والإنصات في الحوار: إن عملية الاستماع هي المقدمة الطبيعية لغالب العمليات الفكرية والعقلية الموجهة للسلوك البشرى التنموى التحاوري، والسماع هو مفتاح الفهم والتأثر والإقناع والتشبع بالأفكار؛ لذا قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِمِنْذَا ٱلْقُرْمَانِ وَالْغَوَّا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغَلِبُونَ ﴾ [فصّلت:٢٦]، فما داموا لا يسمعون له فلن يتأثروا به، كما أنهم لمّا انقشع عنهم الغمام تمنوا لو أنهم كانوا قد أحسنوا السماع، ﴿وَقَالُواْ لَوَكُنَّا نَسَمُعُ أَوْ نَعْقِلُ مَاكُمَّا فِي أَصَّلِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك: ١٠]، إننا

نستمع أحيانًا بدون وعي، فإذا اجتمع مع

الاستماع وعيّ يكون الإصغاء، وهو سماع

الأذن بوعى وتفهّم، والإصغاء الفعال هو

الاستماع والإنصات المركز لمجموعة من

المعلومات حول موضوع ما لغرض التفهم

الكامل لذلك الموضوع. وهو مهارة مهمة

إذ إنه يبنى نوعًا من الثقة والمودة المتبادلة

ويعزز التفاهم والتواصل، ومعظم المشاكل

التي تحدث في العلاقات بين الناس يكون عدم الإلمام بهذه المهارة سببًا رئيسًا فيها (٣).

ومن أهم فنون التواصل مع الآخرين

عند دعوتهم أو الحوار معهم: أن تستمع

إليهم لكي تعطيهم فرصة للتكلم والتعبير عن آرائهم ووجهة نظرهم، «والواجب على

العاقل أن ينصف أذنيه من فيه، ويعلم أنَّه إنَّما

جعلت له أذنان وفم واحدٌ ليسمع أكثر ممّا

يقول؛ لآنه إذا قال ربّما ندم، وإن لم يقل لم

يندم، وهو على ردّ ما لم يقل أقدر منه على

ردّ ما قال، والكلمة إذا تكلّم بها ملكته، وإن

وقد ترتب في سورة الأحقاف على حسن

الاستماع والإنصات دعوة أمة الجن بأسرها

كما يصور ذلك المشهد سيد قطب رحمه

الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ

لم يتكلّم بها ملكها»(٤).

⁽٣) انظر: الإدارة المدرسية والإشراف التربوي، قسم أصول التربية، ص١٢٣.

الأخيار، (٤) انظر: الانتصار للصحابة عبدالمحسن البدري، ص١٤٢.

⁽١) انظر: الفروق اللغوية، العسكري ٤٩.

⁽٢) انظر: نظم الدرر، البقاعي ٢٠/ ٤٦٢.

نَفَرُا مِنَ ٱلْحِنِي يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۚ فَلَمَّا قُضِي وَلَّوا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (الأحقاف:٢٩]، حيث قال: وتلقى هذه الكلمة ظلال الموقف كله طوال مدة الاستماع. وهذه تصور الأثر الذي انطبع في قلوبهم من الإنصات للقرآن. فقد استمعوا صامتين منتبهين حتى النهاية. فلما انتهت التلاوة لم يلبثوا أن سارعوا إلى قومهم، وقد حملت نفوسهم ومشاعرهم منه ما لا تطيق السكوت عليه، أو التلكؤ في إبلاغه والإنذار به. وهي حالة من امتلاً حسه بشيء جديد، وحفلت مشاعره بمؤثر قاهر غلاب، يدفعه دفعًا إلى الحركة به والاحتفال بشأنه، وإبلاغه للآخرين في جد واهتمام(١).

قال المراغي: فلما حضروا الرسول قال بعضهم لبعض: أنصتوا مستمعين، فلما فرغ من تلاوته رجعوا إلى قومهم لينذروهم بأس الله وشديد عذابه (۲).

والإنصات الجيد يؤثر في النفس أبلغ الأثر، ويزيد القدرة على الاستيعاب، فقد جاء في تفسير هذه الآية: قال بعضهم لبعض: أنصتوا؛ لنستمع القرآن، فلما فرغ الرسول من تلاوة القرآن، وقد وعوه وأثّر فيهم، رجعوا إلى قومهم منذرين ومحذرين لهم بأس الله، إن لم يؤمنوا به (٣).

- (١) انظر: في ظلال القرآن، سيدقطب ٢ / ٣٢٧٣.
 - (٢) انظر: تفسير المراغى،٢٦/،٢٦.
- (٣) انظر: الرحيق المختوم، المباركفوري ص٠٦.

وحسن الاستماع من الآداب الإسلامية والأخلاق الرفيعة؛ فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه من يناقشه استمع إليه وأنصت لكلامه حتى يفرغ من حديثه ثم أجابه.

وخير مثال على ذلك من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم إنصاته الجيد لعتبة بن ربيعة في القصة المشهورة، حيث قال عتبة: (.... إنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورًا تنظر فيها، لعلك تقبل منها بعضها. قال: فقال رسول صلى الله عليه وسلم: قل يا أبا الوليد أسمع، قال: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالًا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالًا، وإن كنت تريد به شرفًا سودناك علينا، حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد به ملكًا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرتك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه- أو كما قال له- حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه: قال: أو قد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع مني، قال: أفعل، فقال: بسم الله الرحمن

الرحيم: ﴿ حَمَّمُ ﴿ أَمَنِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الرَّحِيمِ الرَّحِيمِ الرَّحِيمِ اللَّهُ عَرَبِيًّا لِقَوْمِ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّ

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمدًا عليهما، يسمع منه، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها فسجد، ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك. فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به.

فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولًا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزّه عزّكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم)(۱).

وهكذا نلاحظ أنه لما جاء عتبة إلى

النبي صلى الله عليه وسلم يحاوره في دينه ويبين له على ما ترتب على دعوته إلى دين الإسلام من أمور يظنها مفاسد من التفريق بين الوالد والولد، وجعل ذلك تسفيهًا لدين الآباء والأجداد، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أو قد فرغت يا أبا الوليد؟) قال: نعم، فالنبي صلى الله عليه وسلم استمع له وأنصت له حتى أكمل كلامه كله، فلما قضى كلامه قرأ عليه من سورة فصلت فكان ذلك سببًا في تغيير شيء من موقفه (٢).

فمن هذا الموقف العظيم ندرك كم لأهمية الإنصات الجيد وحسنه من أثر إيجابي على الآخرين؛ فقد أثر على صنديد من صناديد قريش أبلغ التأثير.

ثالثًا: إبراز الحقائق:

إن من القواعد والمبادئ الأساسية للحوار والتي جاءت بها شريعة الإسلام لقطع الخلاف: إبراز الدليل الناصع، والبرهان الساطع^(٣)، والتي تتمثل في أمرين: إبراز الحقائق المثبتة، وصحة النقل، وعليها وضع العلماء قاعدتهم المشهورة: (إن كنت ناقلًا فالصحة، أو مدّعيًا فالدليل)⁽²⁾.

⁽١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/ ١٦٣.

⁽۲) انظر: أدب الحوار، سعد بن ناصر الشثري، ص٣٦.

⁽٣) انظر: أدب الحوار في الإسلام،، محمد سيد طنطاوي ٢٥.

⁽٤) انظر: مناظرات ابن تيمية لأهل الملل والنحل، عبد العزيز آل عبد اللطيف، ص ٦٧.

ففي هذه النصوص يأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يطالب المشركين بتقديم براهينهم وأدلتهم على ما يقدمون من دعاوى إن كانوا على يقين من الأمور التي يعتقدونها: ﴿ وَقَالُوا لَن يَدَّخُلَ ٱلْجَنَّةَ الَّهِ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَنْرَىٰ تَلْكَ آمَانِيُهُمّ أَلْ هُودًا أَوْ نَصَنْرَىٰ تِلْكَ آمَانِيُهُمّ أَلَا هُودًا أَوْ نَصَنْرَىٰ تِلْكَ آمَانِيُهُمّ أَلَا هُودًا أَوْ نَصَنْرَىٰ تِلْكَ آمَانِيُهُمّ أَلَا هَكُنتُهُم أَلَا هَكُنتُهُم أَلَا البقرة: ١١١].

وهكذا نجد أن المحاورة في القرآن الكريم تعتمد على العقل والمنطق، ولا تتأثر بأي عامل أو مؤثر خارجي كالنبوة والرسالة والوحي، ولاشك أن الحوار الذي يعتمد على الحجة الواضحة والدليل المنطقي القوي سيؤدي في النهاية إلى الحرية في التفكير، والتخلص من التعصب والانحياز، فنحن نرى أن إبراهيم عليه السلام في حواره مع الله عز وجل يتقدم للمحاورة وكأنه

متجردٌ من النبوة، بل من الإيمان: ﴿وَإِذَ قَالَ إِبْرَهِ مُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمُوْتَى قَالَ أُولَمُ تُوْمِنَ قَالَ بَلَىٰ وَلَدَكِن لِيَطْمَيِنَ قَلْبِي ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

فإبراهيم في هذه المحاورة يريد التحاور ضمن قواعد العقل والمنطق، ويرفض وجود أي مؤثر في المحاورة غير العقل(١١).

ولقد ظهرت تلك القاعدة أيضًا واضحة جلية في حوار إبراهيم عليه السلام مع الملك الكافر الظالم الذي كان يعيش في عصره.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَاَجٌ إِبْرُهِهُمَ فِي رَبِهِ أَنْ ءَاتَنهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَهِهُمُ رَبّيَ اللّهُ عَالَ أَنَا أُخِيء وَأُمِيتُ قَالَ إِنَّا أُخِيء وَأُمِيتُ قَالَ إِنَّا أُخِيء وَأُمِيتُ قَالَ إِنَّ اللّهُ عَلَيْ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الل

أراد إبراهيم عليه السلام: أن الله هو الذي يخلق الحياة والموت في الأجساد، وأراد الكافر: أنه يقدر أن يعفو عن القتل فيكون ذلك إحياء، وعلى أن يقتل فيكون ذلك إماتة، فكان هذا جوابًا أحمق، لا يصح نصبه في مقابلة حجة إبراهيم، لأنه أراد غير ما أراد الكافر، فلو قال له: ربه الذي يخلق الحياة والموت في الأجساد فهل تقدر على

⁽١) انظر: الحوار في الإسلام، عبد الله الموجان، ص٣٧.

ذلك؟ لبهت الذي كفر بادئ بدء وفي أول وهلة، ولكنه انتقل معه إلى حجة أخرى تنفيسًا لخناقه، وإرسالًا لعنان المناظرة فقال: فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب لكون هذه الحجة لا تجري فيها المغالطة، ولا يتيسر للكافر أن يخرج عنها بمخرج مكابرة ومشاغبة. قوله: ﴿فَهُوتَ الْرَجِلُ وبهت وبهت: إذا انقطع وسكت متحيرًا (١).

رابعًا: الإنصاف:

إن العدل والإنصاف مع الخصم مبدأ مهم صعب جليل، وإن المفترض في المسلم أن يكون عادلًا منصفًا، حيث منهج دين الإسلام هو الأمر بالعدل والتهي عن الظلم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْمَدَٰ لِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَآيٍ ذِى الْقُرْدَ وَيَنْعَىٰ عَنِ الْفَرْدَ وَالْمِحْمُ مَنَ الْفُرْدَ وَالْمَحْمُ مَنَ الْفُرْدَ وَالْمَحْمُ مَنَ الْفَرْدَ وَالْمَحْمُ مَنَ الْفَرْدُ وَالْمَحْمُ مَنَا الله والإنصاف مطلوبان في القول: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، كما هما مطلوبان في الحكم: ﴿وَإِذَا مَكَمْتُهُ هِمَا مطلوبان في الحكم: ﴿وَإِذَا مَكَمْتُهُ مِنْ النَّاسِ أَن تَعَكّمُوا بِالْمُدُلُ ﴾ [النساء: ٥٨]، ولو بين المسلمون هدي دينهم في هذا الأمر لها وقع كثير من المسلمين فيما وقعوا فيه لما وقع كثير من المسلمين فيما وقعوا فيه

من الظلم والاختلاف والنزاع والشقاق، ومن تمام الانصاف قبول الحق من الخصم والتفريق بين الفكرة وصاحبها، وأن يبدي المحاور إعجابه بالأفكار الصحيحة والأدلة الجيدة، والمعلومات الجديدة التي يوردها خصمه، وهذا الإنصاف له أثره الإيجابي لقبول الحق، ويضفي على المحاور روح الموضوعية (٢).

وإنما كان الإنصاف والعدل صعبًا لما اتصف به الإنسان من الجهل والظلم.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب:٧٧].

فأكثر الناس مجبول على عدم الانصاف إلا من رحم الله، ولذلك قال الإمام الشعبي رحمه الله: «والله لو أصبت تسعًا وتسعين مرة، وأخطأت مرة لأعدوا عليّ تلك الواحدة» (٣).

وقد ذكر العلماء ضوابط في العدل والإنصاف: فمن ذلك قول عبد الله بن المبارك رحمه الله: "إذا غلبت محاسن الرجل على مساوئه لم تذكر المساوئ، وإذا غلبت المساوئ على المحاسن لم تذكر المحاسن.

وذكر عن حاتم الأصم أنه قال: «معي

⁽۲) انظر: الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى زمزمي، ص١٤١.

⁽٣) أعلام النبلاء، الذهبي، ٤/٣٠٨.

⁽٤) المصدر السابق ٨/ ٣٩٨.

⁽١) انظر: فتح القدير، الشوكاني ١/ ٣١٨.

ثلاث خصال أظهر بها على خصمي، قالوا: وما هي؟ قال: أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ نفسي لا تتجاهل علي، فبلغ ذلك الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله فقال: سبحان الله ما كان أعقله من رجل»(۱).

ولا شك أن الآيات والأحاديث، والأمثلة والنماذج والسير كثيرة جدًّا في تقرير هذا المبدأ وتأصيله، وهناك نصوص عامة تأمر بالعدل والإنصاف في الحوار وغيره.

قال تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ مَا مَنُوا كُونُوا قَوَامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَلِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ [النساء: ١٣٥]، ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمُ شَنَتَانُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعَدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقُوئُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن الله خَبِيرًا بِمَا تَعْمَمُلُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

قال الزمخشري: «وفيه تنبيه عظيم على أن وجود العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله إذا كان بهذه الصفة من القوة، فما الظنّ بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأحباؤه» (٢).

فالآيات تفرض العدل في جميع الأحوال، كما تحذر الظلم وتحرم الجور في جميع الأوقات، وقد مضت سنة الله العادلة في خلقه بأن جزاء ترك العدل وعدم إقامة

القسط في الدنيا، هو ذل الأمة وهوانها، واعتداء غيرها من الأمم على استقلالها، ولجزاء الآخرة أذل وأخزى وأشد وأبقى (٣).

وكما يروى عن شيخ الإسلام قوله: إن الله ينصر الأمة العادلة ولو كانت كافرة، ويذل الأمة الظالمة وإن كانت مسلمة (٤).

ومن نماذج الإنصاف في القرآن ما جاء في وصف أهل الكتاب وذكر بعض مثالبهم كما في قوله تعالى: ﴿ ضُرِيَتَ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ ٱللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ ٱلنَّاسِ وَنَا مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ ٱللَّهِ وَصُرِيتٌ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ وَنَا مِنَا اللَّهِ وَصُرِيتٌ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَالِكَ بِعَظَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَالِكَ بِعَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ وَلَيْمِ مِنَ ٱللَّهِ وَصُرِيتٌ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ وَلَاكَ بِعَلَيْمِ مَا اللَّهِ وَمُرْبِتُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ وَلَاكَ مِنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ وَلَاكُ مِنَا عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ وَلَاكُ بِمَا عَصُوا وَكَانُوا يَكُفُرُونَ فِي اللَّهِ وَمُعْرِحَقٍ ذَلِكَ بِمَا عَصُوا وَكَانُوا فَيَعْدُونَ ﴾ [آل عمران:١١٢].

ثم أنصف الله عز وجل المتقين منهم بقوله: ﴿لَيْسُوا سَوَآءُ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ أَمَّةٌ مَّا اللهِ عَالَاتَهُ ٱلْتَلِ وَهُمَّ أُمَّةٌ مَّا اللهِ عَالَاتَهُ ٱلْتَلِ وَهُمَّ يَسْجُدُونَ ﴾ [آل عمران:١١٣].

ومثلها إنصافهم في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَٰكِ مَنْ إِن تَأْمَنُهُ بِقِنطَارِ يُوَدِّهِ ۚ إِلَيْكَ وَمِنْ أَن تَأْمَنُهُ بِقِنطَارِ يُوَدِّهِ ۚ إِلَيْكَ وَمِنْ أَن تَأْمَنُهُ بِدِينَارِ لَا يُؤَدِّهِ ۚ إِلَيْكَ إِلَّامَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي دُمْتَ عَلَيْهِ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْذُمْتِ نَصَالِكُ وَمُمْتَ اللّهِ الْكَذِبَ وَمُمْتَ اللّهِ الْكَذِبَ وَمُمْتَ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٥].

قال سيد قطب: «وهذا غاية الإنصاف

⁽۳) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا ۲/ ۲۲۷.

⁽٤) انظر: الاستقامة ٢/ ٢٤٧.

⁽١) إحياء علوم الدين، الغزالي ١/ ٦٧.

⁽۲) الكشاف، الزمخشري ۱/ ۳۱۳.

والعدل للقلة الخيرة منهم، التي وعدها بالوعد الصادق لهم: أنهم لن يبخسوا حقًا، ولم يفكروا أجرًا مع الإشارة إلى أن الله سبحانه علم أنهم من المتقين»(١).

خامسًا: الرفق واللين:

إن إظهار الحق وإيصاله للآخرين وإقناعهم به ودحض شبهاتهم وأباطيلهم يحتاج إلى معرفة طبيعة النفس البشرية، وما يصلح لها وما يسوؤها، ومن أهم سمات النفوس أنها تميل إلى اللين والملاطفة والتعامل بالحسنى، وتنفر من الشدة والإذلال والإفحام، إذ إن لها كبرياء، فمن أكرمها فأنه يستطيع أن يقودها وأن يسيّرها كيفما شاء، ومن خدش كبرياءها، فلن يظفر منها بطاعة ولا تصديق ولا انقياد، ولا يلومن بعد ذلك إلا نفسه! لذا فمن أراد أن يمسح الشبهات من عقول الناس، أو أراد أن يدحضها، فعليه أن يلج إلى ذلك بالحسنى، وأن يتجنب العنف والشدة والتحدي (٢).

ولا شك أن القلوب تميل إلى من يلين ويرفق بها، وتنفر الطبائع البشرية من الفظ الغليظ، حتى لو كان خير الناس! كما قال الله: ﴿ فَيِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمُّ وَلَوْ كُنتَ فَظًا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل

عمران:١٥٩].

والمحاور الناجح في أمس الحاجة إلى التفاف الناس حوله، وتحليه بالرفق واللين يساعد في تحقيق ذلك. إلى جانب ذلك، فقد ينشأ عند كثير من الناس نفور تجاه المحاور بسبب دعوته، وذلك إذا خالف رغبات كثير منهم أو عارض شهواتهم، لكن اتصافه بالرفق يساهم في إزالة أو تقليل هذا النفور (٣).

إنّ الرفق سمة واضحة في دعوة الأنبياء عليهم السلام لأقوامهم، فما من نبي بعث إلا ودعا قومه وحاورهم بالتي هي أحسن، فها هو نبي الله شعيب عليه السلام يحاور قومه بكل رفق قائلًا: ﴿ قَالَ يَنَقُومِ أَرَءً يُتُمَّ إِلَى مَا أَنْهَى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا أَرِيدُ إِلَّا اللهِ السلام يَا الله وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمُ إِلَى مَا أَنْهَى صَعَمَّمُ عَنَهُ إِلَا عَلَيْهِ السلام عَلَيْهِ وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا أَرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمُ إِلَى مَا أَنْهَى صَعَمَّمُ عَنَهُ إِنْ اللهِ عَلَيْهِ وَرَزَقَنِي مِنْهُ وَمَا قَرْفِيقِي إِلَّا إِللهِ اللهِ عَلَيْهِ وَرَكُمُ اللهِ عَلَيْهِ وَمَا قَرْفِيقِي إِلَّا إِللهِ اللهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ وَرَكُمُ اللهِ عَلَيْهِ وَمَا قَرْفِيقِي إِلَّا إِللهِ اللهِ عَلَيْهِ وَمَا قَرْفِيقِي إِلَّا إِللهِ اللهِ عَلَيْهِ وَرَكُمُ اللهِ عَلَيْهِ وَرَكُمُ اللهِ عَلَيْهِ وَمُنْ اللهِ اللهِ عَلَيْهِ وَمُنَا قَرْفِيقِ إِلَيْهِ أَنِيلُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ

⁽١) في ظلال القرآن ٥/ ٢٦٩٩.

⁽٢) انظّر: منهجية التعامل مع الشبهات، الحمادي 18/٢.

⁽٣) انظر: الحوار في القرآن الكريم، معن محمود ص ١٢٤.

⁽٤) انظر: قصص الأنبياء، ابن كثير ص٤٤٦.

ليشعرهم أنه على بينة من ربه، وأنه على ثقة مما يقول لهم، وأنه يدعوهم إلى الأمانة في المعاملة، وسيتأثر مثلهم بنتائجها، لأنه ذو مال وعلاقات تجارية، فهو لا يبغي كسبًا شخصيًّا من وراء دعوته لهم، فلن ينهاهم عن شيء ثم يفعله لينفرد بالكسب وحده! إنما هي دعوة الإصلاح للناس أجمعين بكل حكمة وروية ولين (١).

ولقد أمر الله نبييه موسى وهارون عليهم السلام أن يحاورا فرعون، ذلك الطاغية الذي ادعى الربوبية فقال: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ اللّهِ النّازعات: ٢٤]، ثم ادعو الألوهية فقال: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيّنُهَا ٱلْمَلَا مَا عَلِمْتُ لَقَال: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيّنُهَا ٱلْمَلا مَا عَلِمْتُ لَكُمُ مِنْ إِلَيْهِ عَيْرِف ﴾ [القصص: ٣٨]، ورغم ذلك أمرهم الله بالرفق واللين معه فقال: ﴿ فَقُولًا لَهُ مُولًا لَيْنَا لَمَلَّهُ مِينَا لِكُمْ اللّهِ عَلَيْ اللّه اللّه عَلَيْ اللّه عَلَيْ اللّه عَلَيْ اللّه اللّه عَلَيْ اللّه اللّه عَلَيْ اللّه اللّه عَلَيْ اللّه اللّه

قال ابن كثير: «هذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر ألا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين (٢).

قال الزمخشري: «اذهبا على رجائكما وطمعكما، وباشرا الأمر مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه، فهو

يجتهد بطوقه، ويحتشد بأقصى وسعه»(٣).

إن الحوار أو الجدال الذي يدور بين الناس، إذا كان يقوم على التواضع ولين الجانب، وعلى الأسلوب المهذب الخالي من كل ما لا يليق، كانت نتائجه طيبة وآثاره وإلى الاتفاق ولو على معظم المسائل التي دار من أجلها الحوار. أما الحوار أو الجدال الذي يكون مبعثه الغرور والتعالى والتباهي الأقوال، فمن المستبعد أن يأتي بنتيجة توصل إلى الحقيقة أو إلى اتفاق على ما ينفع، وإنما المتوقع من هذا الحوار الذي ينفع، وإنما المتوقع من هذا الحوار الذي وهكذا نتيقن أن الرفق يزين الحوار ويقوده وهكذا نتيقن أن الرفق يزين الحوار ويقوده الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام (٤).

موضوعات ذات صلة:

الإنصاف، التربية، الجدال، الدعوة، النصيحة

⁽٣) الكشاف ٣/ ٢٥.

⁽٤) انظر: أدب الحوار في الإسلام، طنطاوي ٣٠.

⁽١) انظر: ديماس، فنون الحوار والإقناع ص٩١٠.

⁽٢) تفسير القرآن العظيم ٥/ ٢٩٤.